
دار حكاوي الكتب
روايه
www.hakawelkotob.com
الوهم
أميره زقزوق

الوهم

أميرة زقزوق

تصدر عن

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني

www.hakawelkotob.com

تدقيق: هالة جبر

تصميم: فاطمة الزهراء

يتمدد جسدي فوق ذلك الفراش الأبيض ، منهكة القوى عاجزه عن تحريك ذرة واحدة بجسدي ، أحاول جاهدة استدعاء حواسي التي أظن أنها خارت للأبد ، جفناي ثقيلين أظن بأنني أحتاج لأضعاف قوتي لإبعادهما عن بعضهما ، يد ما تلامس يداي !!! أشعر بدفئهما ، صوت بكاء حاد بجواري !!

كلمات حزن يتم تلاوتها على مسامعي ، تختلف الكلمات ونبرة الحزن واحدة ، مرارة تلك الدموع التي تنساب على وجنتاي تزيد نيران صدري اشتعالاً ، تختلط نبرات الأصوات حولي ويبقى ذلك الصوت الباكي مميزاً لي ، بالرغم من ذلك الضيق الذي يجتاحني إلا إنني وبشكل ما أشعر بالأمان عند سماعي إليه ..

رعشة خفيفة تسرى بأوصالي ، برودة شديده تنتشي بأطرافي ، ألماً حادا يكاد يفتك برأسي ، يزول ذلك الثقل من مقلتاي تدريجياً ، لتنفتحا ببطيء ويزيد وجع جسدي ويتفاقم .

أنظر حولي ، أستكشف ذلك المكان الذي أقبع فيه !! لأجد أنني فوق سرير بغرفه داخل مشفى ، يتصل جسدي بعديد من الأجهزة الطبية التي تُصدر صوتاً رتيباً ، يُشير إلى إنني ما زلت

على قيد الحياة ، و إلى جوار سريري يقف الطبيب و ممرضته الحسناء لتتابع حالتي ، يقترب منى ليطمئن على حالتي ، و يسألني إن كنت أسمعه أم لا ؟ أُحرك له رأسي بإيماءات ، وبعد محاولات عدة مع حنجرتي ، أُخرج صوتاً بالكاد يسمعه لأخبره بأنني أشعر بألم في جميع أنحاء جسدي .

يجيب بلامبالاة وهو يتابع فحصه : لا عليكِ ستصبحين بخير عما قريب ، فلا داعي للقلق ، وحمداً للّه على سلامتك

قال جملته مبتسماً ثم خرج من الغرفة تتبعه الممرضة ، ليتركني وحيدة مع ذلك الألم العنيف الذي يغزو رأسي ، ولكن مهلاً أين ذلك الصوت الحزين الباكي الذي لطالما سمعته ؟! أين هو صاحب الدموع المريرة ؟! لمَ أصبحت وحيده الآن ؟! وما الذي أتى بي إلى المشفى من الأساس ؟

لمَ لا أتذكر شيئاً ! عشرات الأسئلة تندفع في رأسي ، لتُزيده وجعاً فوق وجعه ..

يطرق الباب طرقات خفيفة قبل أن يُفتح ويظهر خلفه رجل في عقده الرابع ، يظهر الوقار على ملامحه وتلك الخُصلات البيضاء

التي تتناثر بعشوائية في شعره ، قال وعلى محياه ابتسامة مريحة : هل لي بالدخول ؟

لم أستطع أن أتذكره أو أتذكر إن كنت أعرفه أم لا !! إلا إنني و بشكل ما كنت على يقين بأنه يعرفني حق المعرفة !! و هو من سيساعدني على الخروج من وحل الأسئلة في رأسي ، بابتسامه باهته وبصوت هامس قلت : بالطبع تفضل .

اقترب في وقار و جلس على كرسي بجواري و قال : حمداً للّه على سلامتك ، كيف حالك الآن ؟!

قلت متوجسة : أنا بخير و لكن هل تعرفني ؟

- نعم أعرفك جيداً ، ولكنك لا تعرفيني سأقدم نفسي إليكِ

أنا منصور رضا محامى من طرف إيهاب ابن عمك ، طلب منى أن أترافع عن والدك في قضيته ..

قلت وقد بدأ الألم يتفاقم في رأسي ، وصورة والدي و إيهاب معاً تتجسد أمام ناظري : أي قضيه ؟!

بدا عليه التوتر وهو يجيب : قضيه المخدرات التي اتُهم فيها والدك أنه تاجر مخدرات والضابط الذي كان يعمل على تلك القضية هو -صمت قليلاً ثم سحب نفساً عميقاً قبل أن يكمل - إيهاب ابن عمك .

شعرت بأن رأسي قد قسمته الذكريات إلى شقين ، صوراً كثيرة تمر أمام ناظري ، لتنتهي بموت أبي اثر أزمة قلبيه ، بعد أن حُكم عليه بالسجن ، يتجلى وجهه وهو مُلقى على فراش الموت أمامي ، لأشعر بأن أنفاسي تهرب من رئتي و ضيقاً يجثم فوق صدري ، ودموع هاربه من مقلتاي ، وتشنج في أطرافي ، ولا أدري كم مر وقت من الزمن على تلك الحالة الغريبة ؟ ولا أذكر ما الذي حدث ، ما أذكره حقاً هو وجه الممرضة وهى تدس بذراعي محلولاً ما غيبني تماماً عن الوعى .

****

ما هي إلا أيام حتى استعدت عافيتي ، وخف الألم تماما من جسدي ، إلا أن روحي ماتزال مجروحة بجرح عميق ، لا أظن أنه سيداوى في يوم من الأيام ، طرق الباب ليظهر من خلفه مصطفي

المحامي ذلك الرجل الوحيد الذي ظل بجواري ، يساندني و يدفع بداخلي القوه لمواجهة ما أمر به دفعاً ، ليقول بابتسامته المريحة : هل أنتِ مستعدة للرحيل ؟

أومأت له برأسي ، و ابتسامه بلهاء ترتسم على شفتاي ، ليقول و هو يحمل الحقيبة التي أعددتها مسبقاً : هيا إذن لنرحل .

أمسك بيدي كطفله صغيرة يخشي أن تضيع منه ، و مررنا معاً بممرات المشفى لنصل إلى البوابة الرئيسية ، توجهنا إلى حيث تقف سيارته ، دلفت بجواره و جلس هو في مقعد القيادة ثم نظر لي و قال باهتمام : هل أنتِ واثقة من موافقتك على ذهابك لبيت عمك في القاهرة ؟

ابتسمت لا إراديًا و أنا أرى حنان أبي في عينيه ، و أعلم جيدًا سر خوفه من ذهابي للسكن في بيت عمى إبراهيم عيسى فهو يخشى عليّ من وجع الخذلان ، فقلت و أنا أهز رأسي مؤدية : نعم أثق تمام الثقة .

ربت بيده فوق يدي و قال مشجعاً : فلتكوني قويه إذن .

ابتسمت رغم الألم الذي يموج في صدري و نظرت إلى الأمام ، وشرع هو في القيادة متجهاً إلى القاهرة ، التي كنت أظن إنني سأذهب إليها في يوم من الأيام مُتأبطه ذراع إيهاب كزوجه له ، إيهاب ابن عمى و عشق حياتي و نصفى الآخر بل كلى ، لقد كان نفسي الذي أتنفسه ، كان ومازال قلبي ينبض بحبه ، كنت أحيا به ولأجله ومعه ، مجرد نظرة من عينيه تبث بروحي الحياة ، وابتسامه صادقه فوق شفتيه تقذف بي عالياً في سماء السعادة ، إيهاب إبراهيم عيسى الضابط المجتهد المتوان في عمله ، كم أحب فيه كل ما فيه !

وأشد ما أحبه فيه هو وظيفته ، فلولا انتقاله للعمل في الإسكندرية ما كان ليأتي لزيارتنا ، وأقع أنا في شباك غرامه ، فبالرغم من كوننا أبناء أعمام إلا إننا لم يرى أحدنا الآخر إلا في شبابنا ، كما أنى لم أحظ برؤية عمى و زوجته و ندا ابنته إلا في الصور التي كان يُريني إياها إيهاب ، كنت دائماً ما أتعجب كيف لعلاقة صلة الدم أن تكون بتلك الشاكلة من الإهمال وعدم الاهتمام ، أي زمن هذا الذي يجعل من الأخ لا

يتواصل مع أخيه إلا بالهاتف كل عام مره أو مرتين على الأكثر ، كنت دائماً أقول لإيهاب " تخيل لو كانت العلاقة بين أبوينا جيدة ، و رأينا بعضنا من طفولتنا قطعاً لكنا قضينا معنا مرحلة حب الطفولة " ليضحك ملئ شدقيه و تظهر تلك الخطوط بجوار عينيه التي تُزيد من وسامته و تُزيد من مكانته في قلبي .

كان أبي سعيد بعلاقتنا ، و دائما ما كان يخبرني بأنه لن يجد لي زوجاً مثل إيهاب ، كان ينظر له بعين الرضا ، و يعامله كما لو كان ابنه هو و ليس ابن أخيه ، كانت العلاقة بينهما جيدة إلى أبعد الحدود ، كانا يقضيان معاً الكثير من الوقت في غرفه المكتب الخاصة بأبي ، و دائماً ماكنت أقول لأبي مازحة : ماذا بك يا أستاذ محمد ، أتخطط لسرقة إيهاب منى أم ماذا ؟!

ليحيطني بحنان و يجيب ضاحكاً : لا يمكن لأحد مهما كان صغيرتي أن يسرقه منكِ أبداً ، أدام اللّه سعادتكما .

-ملك !!



أفاقني صوت مصطفى المحامي من سيل الذكريات ، نظرت إليه لتبدو صورته غير واضحة الملامح من وراء تلك السحابة من الدموع التي تكونت بين جفني ، ليسألني في خوف اتضح من نبرة صوته : هل أنتِ بخير ؟

قلت و أنا أمسح تلك الدمعة التي هربت من عيني : نعم بخير لا تقلق ، إنها فقط بعضاً من الذكريات .

قال محفزاً : اتفقنا أن تكوني قوية .

قلت مشاكسة : لا أظن أن هناك فتاه في مثل قوتي .

ضحك من قلبه حتى دمعت عيناه و قال : تقولينا بمزاح ، لكنى أرى أن هذا حقيقي .

صمت قليلاً و قد اختفت آثار ابتسامته ، ثم أردف : فتاة فقدت والدها وخسرت حبيبها ولديها الشجاعة لأن تكمل حياتها بمفردها وفي بلد غير بلدها فهي حقاً قويه ، فتاه تقبل بأن تعيش مع حبيبها الذي انفصلت عنه في منزل واحد و يكون أمام عينها ، فهي حتماً قوية .

إني علي يقين بأنه قال كلماته ليزيد من حماستي ويقوى أزرى مثلما يفعل دائماً ، إلا أنه هذه المرة لم يكن يعلم أنه بكلماته تلك أتى بخنجر من الآلام وطعنه في قلبي لينزف وجعاً ، هو لم يقلها صراحة ، ولم يشر بها في كلامه ، إلا أن ملامحه وتعبيرات وجهه صرخت قائله : كيف لكِ العيش مع من قتل أباك ؟ كيف لكِ أن تكملي حياتك بعدما علمتي أن والدك كان من أكبر تجار المخدرات ؟

أفاقتني مرة أخرى من شرودي وهو يسألني : ما رأيكِ بأن نستريح قليلاً ونأكل بعضاً من الطعام ؟

أومأت برأسي في استسلام ليقف بالسيارة أمام مطعم قابلناه في طريقنا ، دلفنا سوياً وجلسنا معاً على إحدى الطاولات النائية وطلب أنواعاً معينه من الطعام أدركت حينها إنها لم تكن المرة الأولى له التي يأتي فيها إلى هنا ، مرت ثواني ثقيلة خيم فيها الصمت الممل تاركاً المجال لذكرياتي الموجعة العبث برأسي ، فقطع هو الصمت وسد الطريق أمام الذكريات قائلاً : كيف ستتعاملين مع إيهاب ؟

أشحت برأسي بعيداً عنه وكأنني أخشى أن يصيب سؤاله وجهى فيدميه مثلما شعرت به يعصر قلبي ألماً وقلت في غضب : من قال بأنى سأتعامل معه ؟ أنا ذاهبه لمنزل عمى إبراهيم عيسى ، وليس منزل إيهاب .

شحذ نفساً عميقاً قبل أن يبدأ حديثه قائلاً : أنا أتفهم غضبك منه ، واستطيع أن أشعر بما يجتاحك من مشاعر حزن و ألم لفقدان والدك ، ولكن إيهاب لا شأن له بهذا ، والدك كتب له الموت في هذا الوقت ، ولا يوجد ...

قاطعته صارخه : والدي كتب له الموت في هذا الوقت ، وكان إيهاب أحد أسباب موته ، بل هو سبب موته الرئيسي .

أنهيت جملتي و أخذ صدري يعلو ويهبط في جنون ، وشعرت بأنفاسي تسابق الزمن ، لأجده يهدأ من روعي ويناولني كوباً من الماء قائلاً في حنان : أهدئي فقط ، لا يوجد داعي لغضبك الآن ، أرجوك اسمعني فقط ، وحاولي أن تفهمي كلماتي ولا تقاطعيني اذا سمحتي

تناولت كوب الماء دفعه واحدة ، شعرت وكأنني لم أرتوى منذ أشهر ، وبدأت أنفاسي في الانتظام وقلت له : إني أسمعك .

أخذ ينظر إليّ بتمعن وكأنه يريد أن يسبر أغواري ، ثم شرع في الحديث : ملك قبل أن أبدأ في قول أي شيء ، هل تعلمين أن إيهاب هو من طلب منى بأن أتكفل لوالدك إجراءات القضية ؟

قلت مقتضبه : نعم ، لقد أخبرتني بهذا من قبل .

- حسناً ، أود أن أخبرك إذن بأن والدك حقيقه الأمر كان تاجر مخدرات بالفعل و ..

- أخبرني شيئاً لا أعرفه ، لقد علمت بهذا الشيء من قبل ، أخبرني إيهاب بهذا ، و إلى الآن لا استطيع التعايش معه .

- اهدئي أرجوك ولا تقاطعيني مجدداً ، هذا طلبي الوحيد .

- حسناً تفضل .

- ملك أنتِ تعلمين جيداً أن إيهاب لم يخطئ في شيء مما فعله ، بل على العكس لقد قام بدوره الصحيح ، لا تنسي أو تتناسي أنه

ضابط شرطه ، وهذه مهمته فلو تغاضى كل ضابط شرطه عن قريبه لما تم القبض على أكثر من نصف المجرمين

أخبرني كيف سينظر إليك ويتعامل معكِ وهو يعلم بأمر والدك ومع هذا غض الطرف عنه ؟ أو أخبرني كيف كان سينظر إلى نفسه ؟ بالطبع كان سيشعر بالاحتقار حيال شخصه ، أرجوك حاول أن تتفهمي بأن ما قام به ليس إلا الصواب ، أنتِ شخصك بالطبع كنتي ستقللين من مكانته بداخلك لو لم يقم بالإبلاغ عن والدك ، وما كنتي ستستطيعين التعامل مع والدك وكأن شيئاً لم يحدث

سحب نفساً عميقاً ثم أردف

- أنا أرجوك أن تضعي نفسك مكان إيهاب وتفكري بمنطقه ، بمنطق الضابط المخلص لعمله ، بالطبع ستجدينه محق في كل ما قام به ، أتمنى حقاً ألا تكرهيه فهو يحبك إلى أبعد درجه .

أنهى كلامه وانتهت معه ما تبقى من قوتي المزعومة ، أجهشت في البكاء وقلت من بين دموعي : كيف لي أن أكرهه ، أتمنى حقاً ذلك ، ولكنني أحبه حتى النخاع ، حبه يملأ قلبي ، بل

يملأ كياني ووجداني ، لا أنكر بأنني غاضبه من كونه من قام بكشف أبي وكان سبباً في موته ، إلا إنني لم ولن أكرهه ، كيف لأحد أن يكره روحه ، من في العالم قادر على كُره كل ما هو جميل بحياته ، أتدرى لولا وجوده ما قدرت على العيش لحظه من بعد وفاة أبي ، هو الشيء الوحيد الجميل الذي أحيا وسأحي لأجله ، هو السبب الرئيسي الذي منعني من الانهيار عندما علمت بأن جميع ممتلكات أبي تم التحفظ عليها ، فأنت حينما أخبرتني بأنه يدعونني للعيش معهم في منزل ، لم تدرى بأنك تعيدني إلى روحي وتعيد إلي روحي ، ما يؤلمني حقاً هو بعده عنى ، لمَ أرسلك أنت إليّ في المشفى ولم يأتي هو ؟ من المفترض أن يكون هو الشخص الوحيد بجواري في هذا الوقت ، لمَ لم يأتي أرجوك أخبرني ؟ هل يكره رؤيتي ؟ هل يكره كونى ابنه تاجر مخدرات ؟

ألقيت سؤالي وأخذت أنظر إليه و أنا أحاول التحكم في أنفاسي المضطربة ، و إزاله آثار البكاء من على وجهى ، ليقول في حلم

: لمَ لا تقولي أنه يكره مواجهتك ؟! لمَ لا تقولي بأنه يتألم لأجلك ويعلم تماماً أنه شارك في ألمك هذا ؟

اسمعيني جيداً وحاولي أن تفهمي كلامي إن إيهاب يتألم مثلك تماماً بل اكثر ألماً ، لقد وضع بين شقىّ الرحى ، يكسب مهنته ويخسرك أو يكسبك ويخسر ذاته ، لذا فأنا أرجوك ألا تفسدي كل جميل بينكما ، هذا الكم الهائل من الحب كفيل بأن يشفع له عندكِ ، فأرجوك عديني بأنكِ ستعاملينه بقلبك المُحب هذا ، وليس بنفسك الغاضبة .

وكأنني كنت أنتظر من يطلب منى هذا ، فأومأت برأسي وعلى شفتاي ترتسم ابتسامة عريضة وقلت : أعدك .

تنهد في راحة وأشار للطعام أمامنا الذي لم أشعر بالنادل وهو يضعه وتفاجأت بوجوده ثم قال : هيا تناولي الطعام إذن لأخبركِ عن المزرعة .

قلت متعجبة : أي مزرعة !

- مزرعة عمك إبراهيم التي ستعيشين بها .



- أليس منزلا ؟

- لا هم الآن يسكنون بمزرعتهم لظروف ما بالعمل الخاص بعمك .

أخبرني كل شيء عن المزرعة أثناء تناولنا للطعام ، وعلمت منه بأن عمى قد اشترك مع أحد أصدقائه في بنائها ، وهم الآن يسكنون بها بجوار شريكه ، وأخبرني عن كيفيه سريان الأمور بها ، فعلى أية حال أظن بأن كل تلك الأمور لا تهمني فما يهمني حقاً هو كونى بجوار إيهاب .

****

كانت ليلة ممطرة كئيبة ، يصرخ فيها الرعد يعلن احتجاجه وعصيانه ، وتعلو الرياح الهوجاء لتهاجم كل من تقابله في تذمر شديد و كأن الطقس كان يود لو يمنعني من الخروج و الذهاب لمقابله إيهاب بعدما اتصل بي و بدا صوته مضطرباً وهو يطلب منى لقائله ، كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر ليلاً و تعجبت لأمره حينما أصر على ذهابي إليه ، أيقنت حينها أن أمراً جللا قد حدث ، ارتديت ملابسي على عجالة من أمرى ، و

بلامبالاة رفعت شعري لأعلى دون حتى أن أمشطه ، و أكاد أجزم بأنني كدت أنسى حذائي لولا صوت الرعد وهو يصرخ مذكراً إياي به ، لم أشعر بنفسي إلا و أنا على بعد خطوات منه في مكاننا المعتاد على شاطئ البحر على الرغم من المطر الغزير فوق رؤوسنا ، إلا اني و إيهاب نعشق البحر عشقاً أزلياً ، و زاد قلقي وخوفي عندما دنوت منه لأجده يسحبني إلى صدره ، ويطوقني بذراعيه القويتين و كأن أحداً ما سيأخذني عنوة منه ، لا أدري لمَ ظللت حينها دون أدنى محاوله لتحرير نفسي من قبضته ، أو ربما لم أرد ذلك حقاً ، فدقات قلبه المنتظمة كانت وكأنها عزفاً لسيمفونية رائعة لا أريد الانتهاء من سماعها ، ويده الحانية التي كانت تمر على شعري بعثت فيّ دفئاً غريباً لم أشعر بمثله إلا و أنا معه ، مرت دقائق قبل أن يمسك بوجهي بين كفيه ونظرة قلق ممزوجة بالخوف تطل من عينيه لم ولن أستطيع نسيانها ، فتلك كانت المرة الوحيدة التي أري فيها إيهاب بهذا الضعف وقلة الحيلة ، لأسأله في وجل وترقب : ماذا هناك ؟ هل أصابك مكروه ؟

قال وعيناه تسبح في عيناي وكأنه يريد أن يخترقهما : تعلمين جيداً أنى أحبك أليس كذلك ؟

لم يكن الوقت ولا الزمان ولا حتى حالة الجو ملائمة لمثل هذا السؤال الذي أرى أن مجرد طرحه في أيما وقت يقلل من قيمه الحب ، فالحب ليس بالكلمات ولا بالعبارات

الحب شيئاً مقدساً له مكانته الخاصة ، لم أستطع أن أتمالك أعصابي وأنا أزيل كفاه من على وجهى وأصرخ قائله : هل جئت بي في هذه الساعة لتسألني هذا السؤال .

لا أعلم لمَ شعرت للحظه بأنني قد رأيت طيف دمعه تخرج من احدي عينيه ، ولكنني تراجعت عن ظني هذا حين رأيت حبات المطر تكسو وجهه بأكمله ، قال وهو يعتصر يدي بيده : لا ، لم آتى بكِ لأسألك هذا السؤال ، ولكن لمَ لا تريحيني وتخبريني بإجابته

شعرت بانكسار في صوته تبعه انكسار في روحي قلت وأنا ألامس وجهه بكفى : نعم يا إيهاب أعلم جيداً بأنك تحبني



وواثقة من ذلك تمام الثقة ، ولكن لمَ هذا السؤال ؟ اخبرني ماذا حدث ؟

سيطر التوتر أكثر على ملامحه ، وشعرت بأنفاسه تتهدج وأخذت عيناه تتحركان في كافه الاتجاه ، ولم تكن مثبته على عيناي مثلما يكونا دائماً ، شعرت بقلبي ينقبض وهو يضغط بكفيه أكثر على يدي وقال بصوت لم يستطع أن يسلم من التوتر : ملك لقد علمت أثناء عملي أن والدك يتاجر في المخدرات .

انتهى من جملته التي هزت كياني ، وشعرت بزلزال أسفل قدماي إلا إنني كنت على يقين من كونه يمزح معي ، فضحكت بأقصى ما لدي من قوة حتى دمعت عيناي ، ونظرت له وعلامات الدهشة مرسومه فوق محياه وقلت و أنا أحاول كتم ضحكاتي : لابد أنك تمزح ، هل تري أنه الوقت المناسب لمزاحك الثقيل هذا !

أمسك بوجهي بين كفيه بقوه و أخذ يهز رأسي قائلاً : أعلم أنه من الصعب عليك تصديق شيئاً كهذا ، كما هو أيضاً كان من



المستحيل أن أستوعب أن عمى تاجر مخدرات ، ولكن صدقين جميع التحريات والأبحاث أثبتت ذلك .

صمت للحظه أنظر إليه لا تستطيع شفتاي أن تنبس بينت شفة ، ويعمل عقلي سريعاً ليحاول استيعاب ما قد قيل للتو ، والدي أنا يتاجر في المخدرات ، لا بالطبع هذا مستحيل أن يحدث ، لا بل هو المستحيل ذاته ، أزلت كفاه من على وجهى بعصبيه وشعرت بأن الدماء تفور في رأسي وشرعت أصيح قائله : ما هذا الهراء ؟ كيف لك أن تقول شيئاً كهذا عن والدي ؟ هل اقتنع عقلك بما تقوله هذا ؟

أمسك بذراعي اللتان كانتا تتحركان بعشوائية في كافة الاتجاهات وضغط بقوة حتى شعرت بوجع فيهما ، فتوقفت عن الصراخ ولم تتوقف عيناي عن ذرف الدموع ، ونظر إلىّ بملامح ثابته وقال : أعرف و أتفهم أن هذا الأمر يصعب عليكِ تصديقه ولكنها الحقيقة صدقيني شئت أم أبيت ، وأنا امتلك كل ما يثبت كلامي هذا .

ترك ذراعيّ واتجه إلى حيث تقبع سيارته على بعد خطوات منا واختفى بداخلها لثواني ، شعرت فيهم بأن الأرض تميد من تحتي ، وعقلي قد شُل تفكيره ، ولم تعد قدماي قادرتان على حملي لأسقط بلا أدنى مقاومه وانا أرى إيهاب يركض باتجاهي .

****

فتحت عيناي وأنا أتمنى أن يكون كل ما حدث وما قاله إيهاب ليس إلا كابوساً مزعجاً وسينتهى أثره بعد ساعات ، إلا أن جميع آمالي قد خابت عندما رأيت إيهاب أمامي ينظر إلي بقلق واضح ويضرب بيده على خدي ويسأل في لهفه : هل أنتِ بخير .

اعتدلت في جلستي لأجد نفسي بجواره في سيارته ، وما أن جلست جيداً حتى وجدت الدموع تهاجمني بشراسه ، وعقلي ما يزال مشلولاً لا يستطيع التفكير في أي شيء ، لتمتد يد إيهاب في حنوّ ليمسح دموعي بأسى قائلاً : أنا آسف حقاً أعلم أن تلك الحقيقة تؤلمك ، ولكنها الحقيقة والدك يعمل تاجراً للمخدرات وهذه هي الأدلة ،

قالها وهو يشير إلى بعضاً من ملفات الورق في يده ، نظرت إليها ثم رجعت بنظري إلى عينيه ومازال عقلي يأبي العمل ، وشفتاي عاجزه عن الحركة ، ثم أردف : أخبرني هل تعلمين ما هو عمل والدك ؟

قلت تلقائياً : رجل أعمال .

ليسأل مستحثاً : أية أعمال ؟

كانت تلك المرة الأولى التي يسألني فيها أحد هذا السؤال ، بل المرة الأولى التي يتم سؤالي عن عمل والدي ، فهو رجل أعمال شهير في الإسكندرية ، نظرت له وأنا أشعر بالضياع وقلت : لا أعرف .

قال كمن كان يتوقع الإجابة : بالطبع هذا هو ، أنتِ لا تعرفين شيئاً عن عمل والدك ، ولم تهتمي يوماً بماهيته ، فقط انظري معي هنا في تلك الملفات لتتأكدي من صحة كلامي .

أخذ يقرأ من تلك الأوراق اللعينة ، ويشير بيده ويشرح لي وأنا أرى شفتاه تتحركان ويداه تشيران في جميع الاتجاهات موضحاً ،

وأنا أنظر إليه ببلاهة ولا تستطيع أذني تمييز ما يقوله ، فقط أنظر إليه دون حراك ، أتأمله وهو يحاول جاهداً إقناعي بحقيقه عمل والدي ، كيف له أن يظن بأنى قد استطيع تصديق أمراً كهذا ؟ حتى و إن كان من يخبرني بذلك هو أكثر رجل أثق به في الوجود .

أنهى كلامه ثم نظر إلى عيني مباشره وعيناه ترجو أن أكون اقتنعت بذلك الهراء ، مرت ثواني ثقيلة من الصمت وكدت أشعر بأن هناك ضوضاء هائلة في رأسي ، أصوات مخيفه تصرخ جميعها تكاد تصم أذناي ، صوتاً يصرخ قائلاً " لا يمكن تصديق شيئاً كهذا مستحيل لوالدك أن يفعل شيئاً من هذا القبيل " ،، وآخر يصرخ " من يخبرك بهذا هو إيهاب ، لا تنس بأنه لا يمكن له أن يكذب عليك بخصوص أمر كهذا ، لا تنس فناؤه بعمله و إخلاصه له ، أنتِ أكثر من يعرف عنه هذا"

ليصرخ الصوت الأول بفزع " فيمَ تفكرين يا حمقاء لا يجود هناك مجال للتفكير ، والدك هو مثلك الأعلى لك في حبه

لعمله ، ألا تذكرين شجاركم الدائم لكونه يهتم بعمله أكثر منكِ"

وضعت يدي على أذني بعصبيه وأنا أشعر بأن هناك انفجار سيحدث في أورده رأسي ، لأجد يد إيهاب تجذبي في حنان إلى صدره دون أن تبس شفتاه ببنت شفه ، وأخذ يمسح على شعرى حتى سرى دفء حنانه بجسدي فهدأ من روعي قليلاً .

" يجب أن تعودي الآن إلى البيت وترتاحي " قال وهو يشغل سيارته استعداداً للذهاب ، فأومأت برأسي بالإيجاب ، أخذ نفساً عميقاً وقال وهو ينظر للأمام : أنا من سيحقق في قضيه والدك .

وقعت كلمته على كالصاعقة التفت إليه بفزع وصرخت : ماذا ؟ هل تمزح معي ؟ بالطبع أنت تمزح ، قل لي هذا .

كان مازال ينظر أمامه وهو يقول : لا لست أمزح .

اختفت ملامحه من أمامي بعد أن امتلأت مقلتاي بالدموع فمنعتني من رؤيته وقلت بصوت مرتجف : أنت لن تفعل هذا ، على الأقل من أجلى أنا ، أليس كذلك ؟



مسحت دموعي بسرعه لأتبين ملامحه وهو يجيب على ، لأجدها ثابته ومازال ينظر للأمام فأجاب بصوت ثابت : غير صحيح يا ملك ، لن أتعامل معه على أنه عمى أو حتى والدك ، سأتعامل معه مثل أي شخص أخر ، وسوف أؤدي عملي مثلما ينبغي .

تجمدت في مكاني أنظر إليه مشدوهة ، لا تصدق أذناي ولا يستوعب عقلي ما يحدث ، إنه يحاول إقناعي بأن والدي مجرم وحبيبي هو من سيعمل على قضيته ويثبت ذلك للعالم استمرت دموعي في الهبوط وكأنها تتسابق معاً ، نظرت إليه برجاء وقلت متوسله : أرجوك لا تفعل هذا ، تنازل عن تلك القضية ، من أجلى فقط .

التفت إليّ ورأيت ملامحه تحنو ولمعه الدموع في عينيه تظهر جلياً وقال وهو يمسح دموعي : صدقين يا ملك لا يمكنني ، أرجوك سامحني فليس بيدي شيء أفعله .

أزحت يده من على وجهى بضيق وصرخت في وجهه : بلا تستطيع ، تستطيع أن تتنازل عن تلك القضية اللعينة ، وتقف بجوار

والدي وتساعده بدلاً من أن تقف في وجهه ، إن كنت حقاً تحبني لفعلت هذا لأجلى دون حتى أن أطلب منك .

ضغط على فرامل السيارة بعصبيه حتى شعرت بنفسي اصطدم بالزجاج أمامي وارتميت مرة أخرى على المقعد ، قال وفي عينيه نظره غضب جعلتني ولأول مرة أشعر بالخوف منه : لا يعطيني حبك الحق بأن أفعل ما يخالف ضميري أبداً ، وإن كان فأنا أتنازل عنه .

ما إن قال لي هذا حتى شعرت بقلبي يئن ألماً وينزف دماً من جروحه ، وينفطر بكاء ، شعرت بأن الأكسجين قد انعدم من حولي ، وتأبى دموعي عن التوقف ، أحقاً قال بانه لا يريد حبى ، هل أنا بالنسبة له شيئاً لا يُذكر !! أمن السهل عليه الاستغناء عنى !! أهذه هي مكانتي لديه ؟ يفضل عمله ولا يعير فقداني أدني اهتمام !! شعرت بكرامتي تُلقى أمام عجلات سيارته ليدهسها بلا أدني شعور بالذنب ، ورأيته يحطم كبريائي بمعول كُتب عليه الضمير ، لا أدرى كم من الوقت مر و أنا أنظر إليه ثابته في مكاني كالجماد لا أحرك رمشاً ، اعتدلت في

جلستي ونظرت أمامي وقلت بهدوء يختلف تماما مع ما أشعر به : " وأنا أيضاً أتنازل عن حُبك إذا استمريت في تلك القضية ووقفت ضد أبي "

زفر بضيق و علق : " لا تكوني عنيدة "

صرخت كما لم أصرخ من قبل و كأن طلبه هذا كان القشة التي قسمت ظهر البعير : أنا لست عنيدة بل أنت من استغنى ، ألم تقل منذ قليل بأنك تتنازل عن حبي ، إذن فليكن لن أكون ثقلاً عليك ولا على ضميرك بعد الآن ، جئت تخبرني بأن والدي يتاجر في المخدرات ، و أنت من سيعمل في قضيته من كافه ضباط العالم فقط لترضي ضميرك ، إذن أنا أيضا أتنازل عن حبك .

-ماذا تقصدين ؟!

أجبت و أنا أشعر بأن هناك من شق صدري و انتزع قلبي منه عنوة ودهسه بين يديه : أقصد أنك لم تعد بالنسبة لي سوى ابن عمي فقط لا أكثر ولا أقل .

كنت أنظر أمامي إلا أنى شعرت بنظراته تخترقني ، ولمحته يلتفت أمامه ثم قال : حسناً كما ترغبي .

****

"ملك أفيقي لقد وصلنا " انتشلني صوت المحامي من سيل الذكريات التي هجمت رأسي ، لأجد السيارة تقف بنا في حديقة شاسعه لم أستطع أن أري أخرها وفي مقدمتنا تقبع المزرعة التي بدت ضخمة إلي حد كبير من الخارج فمن الواضح أنها من طابقين ، طلب منى المحامي الترجل لندخل سوياً إلى داخل المزرعة ، ودلفنا من بابها الخشبي الضخم والعالي إذ بلغ ارتفاعه أكثر من مترين ، كان بني اللون مزخرف بنقوش بدت تراثيه إلى حد ما .

ما إن وطأة قدماي داخل المزرعة حتى شعرت بعبق إيهاب يملأ المكان ، فدق له قلبي بجنون حتى شعرت بكل من حولي يسمعه ، إلا أنى لم أرى إيهاب ضمن من كانوا في استقبالنا حيث وجدت ذلك الرجل الذي يدعي إبراهيم عيسي ، والذي يكون

والد إيهاب و عمى ، كانت تلك المرة الأولى التي أراه فيها أمامي على أرض الواقع واتصل به اتصالاً مباشراً وليس بوسائل الاتصال الحالية ، دائماً ما كنت أخبر إيهاب انه ووالدي لا يشبهان بعضهما في شيء ، إلا إنني الآن أرى الكثير من الأشياء المشتركة بينهما ، حيث القامه الطويلة والكتفان العريضان ، والشعر الأبيض الذي يغزو رأسيهما ، كما أن تلك الابتسامة المميزة التي أجدها على شفتي عمى تماماً مثل تلك التي كان يتميز بها والدي ، أفاقني عمى من شرودي وهو يتحدث إلي مرحباً : " حمداً للّه على سلامتك ، أنا حقاً سعيد جداً لمكوثك معنا "

- " شكراً لك "

أشار بيده إلى امرأة في عقدها الرابع إلا أن ملامحها تحمل من الجمال ما لا يتناسب مع عمرها ، وقوام متناسق بالإضافة إلى ملابس أنيقة مهندمه إلى حد كبير ، كنت أعلم أنها زوجته نجوى بلال ووالده إيهاب دائماً ما كان يخبرني بهوسها للنظام ،

وصرامة قوانينها إلا إنها تحمل قلباً مليئاً بالحنان والطيبة ، قال عمى معرفاً لي إياها : هذه زوجتي نجوى .

قلت و أنا ابتسم لها ظاهرياً ، إلا أن داخلي كان يبكى حزناً لزمن أصبح في الأهل لا يعرفون بعضهم : أهلاً بكِ ، لقد أخبرني عنكِ إيهاب كثيراً .

ابتسمت وقد لمعت عيناها فرحاً وقالت : وحدثني عنكِ أيضاً .

هممت بالحديث إلا أن فتاه في العشرينات من عمرها كانت تقف بجوار نجوى ، ذات بشرة بيضاء وعيون واسعه وأنف صغير ، وذات طول متوسط ، تقدمت نحوى واحتضنتني بشدة وهى تقول : أه لو تعلمي كم كنت أشتاق لرؤيتك ! أنا سعيدة جدا لوجودكِ معنا ، وحزينة أيضاً لما حدث لوالدك .

ما إن قالت جملتها الأخيرة حتى نهرتها نجوى بنظرة ناريه حتى تكف عن الحديث ، فقلت كما لو كنت لم ألاحظ شيئاً : أنتِ ندى أخت إيهاب ، أليس كذلك ؟!

هزت رأسها بشدة وقد عادت إليها ابتسامتها الواسعة وقالت بحماس : نعم إنها هي أنا ، لقد كنت دائما أسال إيهاب عنكِ وأرى صورك معه ، وكنت أتوق إلي رؤيتكِ كثيراً .

شعرت بحماسها ينقل إليّ وأنا أقول : وأنا أيضاً كنت أنتظر اليوم الذي أراكم جميعاً فيه .

وضعت نجوى يدها على كتفي بحنان واضح وقالت : ملك لابد وأنك متعبه ، اذهبي مع بثينة - وأشارت إلي خادمة كانت تقف على بعد خطوات - إلي غرفتك ستدلك عليها .

قبل أن أجيب دنا منى المحامي وقال برزانة : ملك لقد أنهيت مهمتي الآن واطمأنت عليكِ ، فيجب أن أذهب .

قلت مبتسمه بامتنان : أنا أشكرك على كل شيء .

- لا يوجد أي داعي للشكر فأنا لم أقم إلا بواجبي .

وضع قبلة على رأسي ثم ودعنا جميعاً ورحل ، وسمعت عمى يطلب من بثينة أن تحمل حقائبي وتقوم بإرشادي إلى غرفتي ، إلا أن ذلك الصوت الذي كان يهمس بداخلي ، صرخ بأعلى

صوته قائلاً " أين إيهاب " فوجدت نفسي أسأل لا إرادياً : أين إيهاب ؟ أليس هنا ؟!

وجدت نجوى وإبراهيم ينظران إلى بعضهما بقلق ، وندى تقف بجانبي تنظر إليّ نظرة لم أدرى معناها ، فقلت بسرعه : سأسلم على ابن عمى ، وليس خطيبي .

لا أعلم لمَ قلت هذا ، ولكنى شعرت بقلقهم من توتر العلاقة بيننا بسبب ما حدث ، فأردت أن أوضح لهم أن إيهاب مهما حدث سيظل ابن عمى .

قال عمى وهو يشير إلي غرفة بجوار السلم : " انه في غرفة المكتب اذهبي إليه "

توجهت إلى حيث المكتب ومازال القلق يرتسم على وجهيهما ، وتلك النظرة في عيون ندى لا أستطع أن أتبينها ، هل كانت نظرة خوف ؟ أم قلق ؟ أم أنها نظرة شفقة ؟!

ما إن وصلت لباب الغرفة حتى شعرت برائحة إيهاب تملأ أنفى ، فدق قلبي بجنون تماما مثل كل مرة كنت أشم رائحته ،



تسارعت أنفاسي وصوته يتنادى على مسامعي لا أعرف إن كان حقاً يتحدث مع احد بالداخل !! أم أنى أتوهم سماع صوته ، وبيد مرتعشة طرقت الباب طرقات خفيفة ، ثم جاء صوته بعد ثواني يسمح للطارق بالدخول ، حينها بدى لي وكأن قدمي قد ثبتت في الأرض ، ويداي قد أُثقلا بقطع من حديد وأنا أحاول جاهدة فتح الباب ، وما إن فتح حتى دلفت ببطيء شديد و أحاول بأقصى استطاعتي أن أزيح ناظري من على الأرض لأنظر إلي ملامحه المحفورة في قلبي ، وبعد عدة محاولات شعرت فيها بأن دهراً قد مر تحركت بعينا لأنظر أليه ، لأري ما يجعلني أُصعق لرؤيته ، ويصرخ قلبي وعقلي في آن واحد ، وثور الدماء في رأسي ...

****

رأيته يجلس على كرسي بحوار مكتبه وعلى قدمه تجلس فتاة ، تماما مثلما كان يُجلسني على قدميه حين أكون غاضبه منه يحاول مصالحتي ، رأيتها تجلس تماماً مثلى ليداعبها ويطلب رضاها ، كانت جميلة بل رائعة الجمال بجسدها الممشوق هذا

وشعرها الأشقر وبشرتها البيضاء اللامعة ، لاحظت نظراتي لها فسألت بدهشه : من أنتِ ؟!

أردت من كل أعماقي أن أصرخ بها قائله : أنا حبيبته ، أنا من يجب أن تكون مكانك ليطلب رضاي وليس أنت ، أنا من جئت أيتها البلهاء لتسرقي منها ما تبقا لها في الحياة .

انتشلني صوت إيهاب وهو يقول أثناء قيامه : إنها ملك ابنه عمى يا سارة .

نظر إليّ بعيون لامعه و أشار إليها وقال بصوت جامد صارم : وهذه يا ملك سارة خطيبتي .

وقعت جملته علىّ وقع الصاعقة لتحرق قلبي وتتركه رماداً ، وأنا أنظر إليه مدهوشة وعيني تكاد تخرج من محجريهما ، انتظر منه أن يُكذب ما قاله لسانه للتو ، إلا انى لم أرى منه سوى الجحود ونظرة عتاب في عينيه لا أدرى ما سببها ، طال الصمت وأنا أسمع تلك السارة تتلو على مسامعي كلمات الترحاب والاستقبال ، وعيناي مثبتتين على وجهه انتظر منه أن يخبرني بأنى أنا وحدي هي خطيبته وحبيبته وليس سواي ، ولكنه ظل

جامداً بنظرة العتاب التي تلوح من عيناه ، قلت بصوت يشوبه البكاء ويخرج من بين شفتاي المرتعشين : أنت تمزح معي أليس كذلك ؟!

نظر إلى تلك السارة وقال بملامحه الصارمة : " انتظريني بالخارج يا ساره فأنا أريد أن أتحدث معها بأمر هام .

لمحتها تنظر إلي بغضب قبل أن تخرج وتغلق الباب خلفها ، نظرت إليه مجدداً أنتظر منه توضيح لما قاله ، لأجده يرمقني بنفس نظرة العتاب التي تطل من عيناه ، صرخت مرة أخرى بصوت مرتعد : ليس صحيحاً ما يحدث ، أليس كذلك ؟!

ليجيب بصرامة : بلى صحيح يا ملك .

- لا ليس صحيح ، أنت تحبني أنا ، أنا هي من يجب أن تكون خطيبتك وليست هي .

قال بعتاب : أنتِ تقولين هذا بعد فوات الأوان يا ملك ، فسارة الآن خطيبتي وقريباً ستصبح زوجتي وما أعرفه أنكِ أنت السبب في هذا .

- أنا السبب !! ماذا تقول ؟ هل طلبت منك أن تذهب وتخطب غيري ؟!

- لا لم تقولي ، ولكنك طلبت منى أن أكون لكِ ابن عمكِ وفقط ، ألم يكن هذا طلبك ؟

-أنت بالطبع تمزح يا إيهاب ، لم أطلب هذا بمحض إرادتي وأنت تدرك هذا جيداً .

- لا يا ملك لقد كنتي جاده في طلبه ، وحينها شعرت بمدى ضآلة مكانتي لديك .

- أنت من أجبرتني على هذا ، حينما أخبرتني بأنك على استعداد لتتنازل عن حبي مقابل أن تخلص لعملك ، الم تقل هذا !

صرخ بغضب جعل الخوف ينتابني : كان يجب أن تفهمي أنه تعبير مجازي يا ملك ، مجرد جملة أود أن أوضح لكِ بها أنى لا يمكن أن أتخلى عن مبادئي ، كنت أنتظر منكِ أن تتفهمي

موقفي ، وتشجعيني على ما أفعله بدلاً من أن تبتعدي عنى وتطلبين ألا نكون سوى أقرباء ،حسناً إذاً لقد لبيت لكِ طلبك

لمِ تأتين الآن تلومينني على ما أفعله وأنتِ السبب فيه ؟

قلت وأنا أحاول أن أوقف بكائي بيدي : لقد مات أبي ، وأنت الآن تعاقبني لشيء طلبته في لحظة غضب ، بدلاً من تكون أول من يقف بجواري .

قلت جملتي وخرجت دموعي من عيني كالشلالات لا تجد عائقاً أمامها ، شعرت بالضعف يدب في قدماي فأنهرت علي أقرب مقعد بجواري ، وأجهشت في البكاء .

جثا على ركبتيه أمامي وأزاح كفي من على وجهي بحنانه الذي أعرفه ، ومد يده ليزيل دموعي قائلاً : أنا حقاً آسف لوفاة والدك ، لكنى لست قادراً على محو صورتك من مخيلتي وأنتِ تتهمينني بقتله .

سألت مشدوهة : ماذا؟ أنا أتهمك بقتل أبي ؟

نظر إلي متأملا كأنه يريد أن يغبر أسواري ليقول : نعم ، حينما مات وجئت لك في المشفى لتصرخي بوجهي وتطلبي منى أن أرحل عنكِ ولا أريك وجهى مجدداً وعللت طلبك هذا بأنني قاتل والدك في نظرك .

أخدت أهز رأسي بعصبية نافيه ما يقوله : لا أذكر أي شيء من هذا ، صدقني لم أكن في وعيي حين قلت لك هذا .

ظفر بضيق وقال : أعرف ، لقد قلت ما يدور بعقلك اللاوعي ، فأنت يا ملك تؤمنين بداخلك أنني سبب موت والدك ، ولا يمكنني أن أكمل معك و أنا أعرف أنك تنظرين إلى على أنني قاتل والدك ، أو حتى كنت سبباً في موته .

- لكنني لست أفكر هكذا .

- ملك أرجوك أخبرني بصدق ، ألا تشعرين من أعماقك بأنني كنت سبباً من أسباب وفاة والدك ؟ أجيب بصدق ولا تخشي شيئاً أنا أرجوك .

نظرت إلى عينيه التي لطالما تحلق بي في عالم آخر ، لأرى فيها نظرة الرجاء وأنا أفكر فيما سأقوله فقلت بتردد : أنا أؤمن بأن عمر أبى قد انتهى ، وموته قضاء وقدر .

اشتدت قبضته على يدي وهو يسأل بصرامة : هل كنت سبباً في موته أم لا ؟!

أجبت بتردد أكبر : نعم ، كن..

لم أكمل جملتي حتى وجدته يترك يدي بعصبيه وينهض وهو يزفر قائلا : حسناً إذاً إن كل ما قلته لي في حالة انهيارك هو ما تؤمنين به ، وأنا لا أستطيع أن أكمل معك وأنتِ تعتقدين أنني سبب في موت والدك .

تساءلت باستنكار- أتلقى اللوم عليّ ؟

قال بصرامة وهو ينظر للاتجاه الآخر : أنا لا ألقي اللوم على أحد ، ولكنكِ طلبت شيئاً و أنا أنفذه لكِ .

انعقد لساني وشُل عقلي و أنا أنظر إليه لا أحرك ساكناً ، إلا انى شعرت بجميع الأشياء تدور من حولي والأرض تميد بي ، ولكنني

استجمعت قواي فأنا لا أريد أن أنهار الآن ، طال صمتي و أنا أنظر إليه لا أقدر على تصديق ما يحدث ، وأن كل شيء بيننا ينهيه هكذا بكل تلك السهولة ، والأدهى من هذا بأنه يلقى اللوم عليّ ، بدد الصمت بقوله : بالإضافة إلى أنني خطبت سارة الآن ، ولا يمكنني أن أطلب منها الابتعاد وأجرحها هكذا بكل سهولة ، فقد جرحت من قبل و أنا أدرك جيداً كيف يكون وجع الألم الذي يسببه لك الحبيب .

نظرت إليه بعيني الدامعة ، وشعرت بأن هناك من يجثم فوق صدري يمنع عني الهواء ، ويكتم أنفاسي ، تجاهلت ذلك الضيق الذي يغزو صدري ، فنهضت من مكاني و أتظاهر بالتجلد وقلت بينما يعتصر قلبي ألماً : مبارك لك خطبتك .

ردّ علي بابتسامة شاحبة جعلت قلبي يخرج آخر أنفاسه ، فأوليت له ظهري وتوجهت نحو الباب بخطوات ثقيلة وكأن قدماي ترفضان الذهاب ، وبداخلي يتمنى لو ينادي ويخبرني بأنه يتراجع عن كل ما قاله ، وبأنه يحبني أنا وفقط ، لكم أتمنى

بأن ينادي باسمي الذي اعشق نغمته من بين شفتيه ، ويفرد لي ذراعيه لأذوب بينهما وأنهل من رحيق دفئه وحنانه ،

فقط لو يناديني ولو لمره ،،،،

"ملك"

تسمرت قدماي في موقعهما ، وشعرت بالحياة تعود لقلبي مره أخرى ، ويطير عقلي فرحاً ، التفت أنظر إليه بلهفه وشوق لما سيقوله ، وقلت بصوت مختلج مضطرب : نعم

ليجيب بصرامة " أرجوك لا تخبري أحداً وخصوصا سارة بما كان بيننا "

××××××××××××××××

صاعقه نزلت فوق رأسي هشمته ، وخنجراً مسموماً أصاب قلبي فقتله ، تسمرت مكاني للحظات وعيناي جامدتين في محجريهما ، وبدأ الضعف يسرى بقدامي معلناً عن سقوط حتمي ، وقبل أن يتمكن الضعف منهما تمالكت نفسي بكل ما لدي من قوة ، وسحبت نفساً شعرت به يدخل رئتاي يزيدهما اشتعالاً ولهيباً ،

أكملت طريقي ناحيه الباب ولدي شعور قوى بأنى مغيبة عن الواقع ، فقط أريد الذهاب إلى عالم آخر لا يعرفني فيه أحد لأصرخ بكل قوتي " يا قلبي اهدأ " ،، فتحت الباب وأنا أتكئ عليه وأستمد منه القوة ، لأجد الخادمة في انتظاري وبيدها حقائبي ، ما إن رأتني حتى هرعت نحوى وعلامات الفزع جليه على وجهها ، سألت بلهفة وهى تساندني : هل أنتِ بخير سيدتي ؟!

خير ؟ أي خير هذا !! كيف سأكون بخير أخبرني ،، تخلي عنى الحبيب ، ورحل السند ،، ليموت قلبي من الوجع

وتئن روحي من العذاب ،، ويتألم جسدي لكليهما ..

سمعتها تصرخ بما لم يستوعبه عقلي المشتت حينها ، ليأتي عمى مسرعاً وخلفه زوجته وندي ، سمعته يصرخ بها لتذهب وتحضر لي ما أتناوله ، وعالجني قبل أن تخونانى قدامى وأسقط طريحه ، فحملني بين ذراعيه ، وشعرت به يسرع في خطاه التي قاربت العدو ، ليضعني فوق فراش ومسح على رأسي في حين كانت نظراتي مثبته نحوه ، ودموعي تهبط من عيناي في تناوب

دون توقف ، لكم تمنيت في هذه اللحظة أن يكون والدي ، تمنيت أن يكون هو من يمسح على رأسي الآن ، لكم أشتاق إلي حضنك أبي ، تقتلني نار الحنين إلى ضمتك التي تنتشلني من آلامي وأحزاني ، فأشعر حينها بالأمان والطمأنينة ، كم أحن لأن أبكى على كتفك يا أبي ، أبكى بكل ما أملك من دموع ، أبكى لتواسيني بصمتك الحنون ، وحبك الجارف ، ويداك القويتان بما تحملانه من حنان ، أشتاق حقاً لأن ألقى بنفسي بين ذراعيك ، وأشهق بضعف ، وأصرخ بجنون ، وأخرج كل ما يعتمر بصدري ، لمَ لا تعود يا أبي ؟؟ لمَ لا تعود وتخبرني بأن كل ما يحدث هذا ليس سوى محض هراء ، لا أكثر ولا أقل ؟!

أراك الآن أمامي ، تجلس بوقارك الذي أعرفه ، تضع قدماً فوق الأخرى ، تقلب في يديك صفحات الجريدة ، تقرأ بتركيز شديد ، تكاد لا تشعر بأي شيء حولك ، وكأنك في عالم آخر

تنفث دخان سيجارك الغالي مع كل سطر تقرأه ، يرتفع الدخان لأعلي في هدوء وبطئ شديدين ، أتابعه بفضول وهو يتكور في

الهواء ، ويتلاشى تدريجياً ليظهر خلفهما وجه ضحك قلبي لرؤيته ، إنه إيهاب أراه قادماً من بعيد ، بخطواته المدروسة ، ومشيته المعهودة التي لطالما تترك انطباعاً لمن يراه بأن لديه موعد وتأخر عنه ، أقترب أكثر حتى دنى منك وحياك بأدب وود ، ثم جلس بجوارك وعلى محياه ابتسامة خفيفة زادته وسامة فوق وسامته ، رأيته يحدثك و أنت تتفاعل معه ، وابتسامة عريضة تلاعبت فوق شفتاي ، فها هما رجلاي يجلسان معاً ويتحاوران وأنا أراقبهما بصمت ، وأتابع حديثهما الذي لا أسمع منه حرفاً ، تقلصت ابتسامتي شيئاً فشيئاً وأنا أري ملامح إيهاب تتقهقر ، ووجهه يحمر كعادته عند الغضب ، ويداه تتحركان بعصبيه كأنما يريد أن يدخل في شجار بهما ، وأنت يا أبي تقف مذعورا وتصرخ به وتشير بيدك له بأن يخرج ، وأنا أحاول جاهدة بأن أتحرك من مقعدي فأفاجأ بقدامي مثبتتين في الأرض ولا أستطيع الحراك ، أنظر إليكما بأعيني الدامعة لأتفاجأ بك يا أبي مطروحاً على الأرض داخل كفنك الأبيض ، بعدما اختفى إيهاب تماماً كأنه لم يكن ، أصرخ بأعلى صوتي وأنا أجاهد لأحرر قدماي ، ولكن يأبي صوتي الخروج ، تكاد

تنفجر حنجرتي وأنا أساومها على النطق بلا جدوى ، وعروق عنقي التي تغذيها تنتفخ محمله بالدماء ولكن هيهات ...

أجد نفسي فجأة مطروحة على فراش بلله دمعى ، في غرفة غريبة على ناظري ، تجولت بعيني بها وتذكرت بأنني داخل غرفتي في منزل عمى ، لتصارعني الأحزان و أشعر بعروقي تشتعل بدمائها ، والسرير من تحتي يشتعل بنيران الفقد والخذلان ، ويموج صدري بلهيب الألم ومراره الوجع ، تطرح عيناي الدموع بغزاره دون أن تنضب ، وقلبي ينقبض بألم بين أضلعي ، أضع يدي على صدري وأتوسل بأدمعي أن يكف عن تعذيبي ، فلم أعد قادرة على تحمل المزيد ، سيقتلني الألم حتماً ،،، توجهت إلي النافذة بشق الأنفس فتحتها لتصطدم عيناي بنور الشمس المحرقة ، وتنير الغرفة ليظهر لي أثاثها واضحاً جلياً ، يحمل ذوق إيهاب بشكل غريب ، أم أنى من أشعر بهذا فحسب ، نظرت إلي المرآة لأجدها تنظر إلي بشماته وتظهر لي لسانها ، قائلة " أنظر إلى نفسك جيداً أيتها البائسة ، ها أنت ذا وحيدة بلا سند ، خذلك من أحببت ، وذهب إلي أخرى ،

أنظري إلى نفسك جيداً كيف أصبحت هزيلة ، ضعيفة ، ضائعة ، وحيدة ..."

علا صوتها أكثر فأكثر ، والألم في رأسي يتفاقم ، وضعت يداي على أذني بعصبيه وأنا أصرخ بها " كفى "

أستجديها لتكف عن قول ما أعرف وأعيشه ، لكنها كانت مصرة علي تمزيقي أكثر ، استمرت في حديثها

واستمر الألم يتفاقم في رأسي ، واستمريت أنا في الصراخ بها أن تكف ، ليقطع صراخي صوت الباب وهو يفتح بشدة وتظهر نجوى من خلفه ومعها ندى ، ومن نظراتهما فقط أدركت جيداً أنى لم أكن بحالة طبيعية أبداً ، وفي ظرف ثانيه كانت ذراعي ندا تطوقانني بحنان أخت لم تنجبها أمي ، وبكيت بكل ما يعتمل بداخلي من طاقه ، تشنجت كما لو كنت لم أبكى منذ سنين ، كان جسدها يهتز مع جسدي

إلا أن روحها لن تستطيع الإحساس بخدوش روحي ، التي سببها لي أخوها ، تألمت حنجرتي وصرخت شراييني أن كفى ، لا يوجد لدينا من الطاقة ما يكفى للبكاء ، واختفى صوتي إلا أن

دموعي لم تنضب بعد ، أبعدتني ندا ونظرت إليّ وعيناها ممتلئة بالخوف قائلة : أرجوك كفِ عن البكاء ، فليس هناك من يستحق ..

زادت كثافة دموعي ، وزادت رجفه شفتاي ، ولم أنبس ببنت شفة ، لمحت بعينها الدموع ونظرة شفق تطل منهما ، حين اقتربت نجوى تمسح دموعي بابتسامة هادئة ، وطلبت منى أن أجلس مع ندا ريثما تطلب من الخادمة بأن تحضر لي الطعام ، طعام !! ولكن أي طعام هذا سيجدي مع من اجتثت منه روحه ؟! أي طعام يقدم لميت ؟

أتسخر منى تلك المرأة أم ماذا ؟! هل تظن بأن الطعام هو الذي سيداوى جروح روحي ؟! هل تعتقد حقاً بأن ينقصني هو الطعام ؟ إن ما ينقصني أكبر بكثير ، ينقصني الأمان الذي لطالما حييت فيه مع أبي ، والحنان الذي كساني به حتى مع غياب أمي ، ينقصني الدفء الذي غمرني به إيهاب ، ينقصني الغرام والعشق الذي أغدقني به ، ينقصني وبشدة نظرة الحب في عيناه ، ينقصني هو

ينقصني .. إيهاب ..

****

أجلس على الكرسي بجواري ندا التي لم تدع أمراً إلا وتحدثت بشأنه ، إنها رقيقه حقاً ،تماماً مثلما وصفها لي إيهاب ، تمتلك من الحنان والطيبة ما يجعل كل من يقابلها يذب بها عشقاً ، ارتسمت ابتسامة تلقائيه على شفتاي وأنا أذكر كيف كان يصفها لي ، كنا نجلس سوياً في منزلنا أمام شاشة التلفاز في ساعة متأخرة من الليل ، حينها كان والدي خلد للنوم بعد محاولات فاشلة للسهر ، كنت مأخوذة بالفيلم المعروض أتناول حبات الفشار بنهم شديد ، وقال إيهاب بغتته وهو ينظر إلي بابتسامته التي يبتسم لها قلبي : تأكلين الفشار تماماً مثلما تتناوله أختي .

قلت مداعبة : حقاً ، وهل لأكل الفشار طقوساً خاصة ؟!

أعتدل في جلسته ، وقال كمن يشرح أمراً هاماً : بالطبع ، فأنت تفعلين تماما مثلماً تفعل ندا ، تتناول في يدها الكثير من حبات الفشار ، وأنا حقاً إلى الآن لا أدري ما الحكمة في ذلك ، طالما الطبق ممتلئ أمامكما ، ثم تضع في فمها ثلاث حبات معاً ، وقبل أن يتم بلعهما يكونا بصحبة الثلاثة الآخرون ، كما لو أنها في تسابق مع الزمن ، تماماً مثلما تفعلين أنتِ الآن ولا تتركين لي مجالاً لأن أتناول ولو القليل .

وكزته بخفة في كتفه ، قائلة باستنكار : هل تقصد بأني بلا ذوق وأتناول الكثير من الطعام ؟

هز رأسه بشدة مؤيداً : أي نعم .

ضربت رأسه بأقرب وسادة التقطتها يداي ، بينما كان يحاول التقاط أنفاسه من الضحك ، وأخذ منى الوسادة بقوه وقال : لا تغضبي لم أقصد أن أقول هذا بالطبع .

قلت مصطنعة الغضب : تقصد ماذا إذا ؟

قال وابتسامته الواسعة تزين وجهه : أنا فقط شبهتك بأختي ، ولا أقصد أنك تشبهينها في حب الطعام فقط ، بل أني دائماً ما أشعر بأنك تحملين من الحنان والطيبة ما يجعلني أتذكرها لدي رؤيتك .

علقت بشيء من الزهو : وهل هناك من يمتلك حناناً مثلي ؟!

ضحك ملئ شدقيه على طريقتي المسرحية في طرح السؤال ، ثم أجاب بعينين لامعتين : نعم ، إنها مثلك تماماً

تمتلك من الحنان والطيبة ما يجعل كل من يقابلها يذب بها عشقاً ، تماما مثلما ذبت أنا في عشقك..

اشتعلت وجنتاي بنار الخجل ، و أبعدت عيني سريعاً ، وأنا أسمع دقات قلبي المتراقصة في أذني ، ليكمل قائلاً : بكل تأكيد ستلتقيان عما قريب ، وسأكون سعيداً جداً في هذا اليوم ، حين أرى أختي وزوجتي أجمل امرأتان في عالمي معاً ..

كان يقولها بثقه ، والتقتها منه بثقة مماثلة ، لم أكن أدرى حينها بأننا سنكون معاً ،ولكن ليس مثلما قال ، أنا الآن معها يا



إيهاب ولكن لست زوجتك ، أنا مجرد طائر جريح العشق ، ينزف جرحه دون أين يجد من يداويه .

****

كانت ندا تحاول جاهدة أن تثيرني بأي طريقه ، لينطق لساني ولو بكلمه واحدة ، فكانت تسألني تارة عن وفاة والدتي في صغرى ، وتتحدث عن نفسها تارة ثم تأخذ رأيي فيما فعلته يوماً ما ، لم أكن أريد أن أكون فظة معهاً ، وبخاصة وهى لا تستحق من المعاملة سوى أجملها ، ولكنني لم أقدر حتى على إبعاد شفتاي عن بعضهما ، فقد تيبس جسدي بأكمله وتسمر مكانه ، وبينما كانت تحاول ندا فتح أي محال للحوار بيننا ، دلفت الخادمة وبيدها صينيه الطعام

لتضعه على المنضدة أمامي ، وأنا أتابعها بعينا ، وبداخلي يضحك ساخراً ، هل حقاً ما ينقصني هو الطعام !

طلبت منها ندا الذهاب والعودة بعد دقائق أكون حينها أنهيت حاجتي من الطعام ، ما لم تكن تستوعبه ندا حقاً هو كون لست بحاجة إلي أية غذاء لبدني ، ما أحتاجه حقاً هو غذاء

وعلاج لروحي السقيمة ، دفعت بالطعام نحوى وهى تطلب منى أن أشرع في تناوله ، نظرت إليها بعينا وحركت رأسي علامة الرفض ، قالت بشيء من الإصرار : يجب أن تتناول أي شيء ، انظر إلي وجهك لقد أصبح ذابلاً .

أنهت جملتها وهى تضع بفمي بعض اللقيمات ، تماماً مثلما تفعل الأم مع ابنها العنيد ، ولكن ما إن وضعت الطعام بفمي ، حتى شعرت به ثقلاً أثقل لساني ،وأعجز أسناني عن الحركة ، تطلب منى الأمر كثيراً من القوة لأمضغ تلك اللقيمة ، وبعد معاناه تم مضغها ، وها هي تبدأ رحلة القذف بها إلى المريء ، شعرت بها كالغصة وقفت في حلقى تأبي الانزلاق ، مددت يدي المرتجفة نحو كوب الماء تحت أنظار ندا القلقة ، وارتشفت قليلاً من الماء ليزيحها وتنزلق بألم ، فكانت مثل الأشواك التي تترك إثرها جروحاً مؤلمة ، نظرت بعيني التي لا أذكر متى كانت خالية من الدموع نحو ندا فكانت تنظر إلي في توجس ، وأردت أن أطمئنها واخبرها بأنني لن أستطيع تناول المزيد ، فتحت شفتاي

استعداداً للحديث ولكن ، شعرت بصوتي تحشرج في حنجرتي ، حاولت ثانيه

واذا به يأبي الخروج ، نظرت إليها مصدومة ، وجدتها تحملق في وفى عينيها نظرة محفزة تشجعني على الكلام ، حاولت مجدداً ولكن هيهات ،

" صدمة عصبية جعلتها غير قادرة على الكلام مؤقتاً "

كانت تلك الجملة التي شخص بها الطبيب حالتي ، قبل أن يغادر بلا أدني اهتمام أو تأثر كما لو كان يري الكثير ممن يعانون مثلي ، لكنه بلا شك لا يدرك ما يموج في صدورنا من آهات ، كنت ملقاة على فراشي بلا حركة وكأنني جثة هامدة بلا روح أو حياة ، تجلس ندا بجواري باكية على حالي، وإلي جوارها نجوى التي كانت تحمل بعينيها حنان أم لابنتها ، دخل عمى الغرفة بعدما قام بتوصيل الطبيب إلى الخارج ، توجه إليّ بالحديث وهو يجلس بجواري : لا تقلقي عزيزتي ، ستصبحين بخير وتعاودين الحديث مرة أخرى ..

تلقيت مواساته بصمت دون أن يرمش لي جفن ، بينما شهقت ندا وهى تسأله : ألا يوجد شيء يا أبي لنفعله ؟! لا يجب أن نظل صامتين هكذا ..

ربتت نجوى على كتفها ، وبصوت منكسر قالت : كل ما يسعنا فعله هو وقوفنا بجوارها ، والعمل على إخراجها مما هي فيه .

لتنظر إلي ندا بعيونها التي تحول بياضها إلى الحمرة ، ومسحت برقة على شعرى وقالت بحنان : يجب أن تكوني أقوى يا ملك ، فإن لم يكن لأجلك فلأجلي إذا .

يا لتلك الفتاة الرائعة ! كيف لها أن تكون بكل هذا الحنان ! وتلك الكمية الهائلة من الطيبة !

أتدري يا ندا ، لم يبالغ إيهاب أبداً في وصفك ، بل إنه حتى لم يعطيكِ ما تستحقي ، يؤلمني نقائك الذي يجعلك تتألمين لأجلي ، ويعذبني صفاء روحك التي تجعلك تعانين بسببي ، كيف لكِ أن تكوني بكل هذا الجمال ! صدقيني جميلة مثلك لا يجب لها أن تتعذب لأحد ،، ما يؤسف حقاً هو كونكِ تعانين فقط لجمالك الداخلي ليس إلا ..

رحل عمى ليدبر شئون عمله في المزرعة بعدما اطمأن عليّ وتركني في صحبة نجوى وندا ، ظلا بجواري يفتعلان من الأحاديث أصغرها في محاوله لكسر تعابير وجهى الجامدة ، وبالرغم من ثرثرتهما في كافة الأمور إلا أنني لاحظت ابتعادهما في أحاديثهما عن إيهاب كل البعد ، لابد وأنهما يظنان بأنى لا أريد سماع أي شيء عنه ، ما لا يعرفانه حقاً هو كونى أتوق لمعرفة كل شيء حدث معه بدوني ، أريد سماع كيفيه خطبته لتلك الحمقاء التي تدعي سارة ، أريد أن أعرف هل هو من طلب الزواج منها ؟ أم أنهم من أجبروه على هذا ؟

ما بالكِ يا ندا ؟! أتسخرين من نفسكِ أم ماذا ؟! تعلمين جيداً أن ما من أحد يمكن له بأن يجبر إيهاب على أيما شيء

حتى أنتِ لم تستطيعي في أي وقت مضى ردعه عن شيء يريده ، أو إجباره علي فعل ما لا يرده ، هو عنيد وأنت أكثر من يعلم هذا ، فلمَ إذاً تتساءلين إن كان قد أجبره أحد على الزواج بها ، رغم كونكِ توقنين بالإجابة ؟

أم أنك تريدين أن تبحثي عن عذر له ، تردين أن تثبتي لنفسك أنه كان ومازال يحبك ؟

انتشلتني من شرودي وخزة خفيفة في ذراعي أدركت أنها إبرة ذلك المحلول الذي وضعه لي الطبيب ،يحمل إلي جسدي من الغذاء ما يجعلني أبقى على قيد الحياة ، كانت نجوى تنتزعها بعدما أفرغ ما فيه داخل جسدي ، نظرت إليها بامتنان ، فابتسمت لي بود وكأنها فهمت أني أود شكرها على ما تقدمه لي من حنان ، اقتربت مني ثم وضعت قبلة على رأسي شعرت اقشعر لها بدني دون سبب واضح ، ثم قالت : سأتركك قليلاً مع ندا ، واذهب لألقى نظرة على شئون المزرعة ، وسأعود إليك مجدداً يا عزيزتي .

هززت رأسي ، وحاولت أن ابتسم لها بعيني فغادرت وهى تلقي لندا بعضاً من التوجيهات ، وتحذرها من أن تنسي دوائي .

غادرت و تركتني بصحبة ندا ، التي لم تتوان عن فعل ما بوسعها لتسليتي وحسب ، كانت تقص لي كل شيء عن عالمها ، ودراستها الجامعية ،وصديقاتها ، ونشاطاتها ، وأوضحت لي



إعجابها بموهبتي في الرسم و كيف كانت تنتظر اليوم الذي تطلب مني فيه رسم لوحة لها قائله :

" أود منكِ رسم لوحة لي ولكني لن أقدر على الوقوف أمامكِ كثيراً بلا حراك مثلما أرى في التلفاز ،لذا يتوجب عليكِ حفظ ملامحي "

قالت جملتها بطريقه طفوليه ، فتسللت ابتسامة خفيفة إلى ثغري وأنا أراقبها وهي تتحدث إلي بحب ، وكأنها كانت تعرفني منذ زمن أزلي ، أنت حقاً محظوظ يا إيهاب على امتلاكك أخت مثل ندا في صفاتها الملائكية تلك .

شعرت بإنهاك شديد ، وتعب ينتشي بأوصالي ، فأغمض عيني جلباً لبعض من الراحة المزيفة لجسدي ، كانت كل ذرة بجسدي تتألم في صمت ، وذلك الألم في رأسي يتزايد شيئاً فشيئاً ، وكأنه أقسم على تمزيق شرايين رأسي إرباً إرباً ، لم أشعر بشيء ، فقط بالألم ، وكأن حواسي توقفت عن عملها إلا من استقبال الألم كضيف ثقيب لا أدري متى يرحل ؟

ولم أشعر حتى بندا ، لم أكن أدرى إن كانت ماتزال جالسة بعد أم رحلت ؟

كل ما أفعله هو إغلاق جفني ، والاستسلام للألم الذي ينتشى بجسدي بلا توقف ، تنبهت حواسي فجأة وأنا أسمع ذلك الصوت الباكي الذي لم يفارق سمعي حين كنت بغيبوبتي ، ونفس النبرة الحزينة المصحوبة بكلمات حزن لم أستطع تميزها ، انتفض جسدي حين شعرت بدموع ساخنه تنساب على وجنتاي في مرارة ، لأفتح عيني وانتفض حين أجد وجهه على بعد سنتيمترات من وجهى ، ويدي يتم اعتصارها بين كفيه ، اعتدلت في فراشي وأنا أنظر إليه مشدوهة ، وأكاد أجزم أن فكي السفلى كاد ينخلع من مكانه ، هل أحلم أم أن إيهاب بالفعل يجلس الآن أمامي ويبكي بشدة كما لم أره يبكى من قبل ؟!

****

تطلب الأمر منى دقائق لاستوعب بأنه يجلس أمامي بالفعل ، وآثار البكاء على وجهه ، أمسك بكفى بين راحتيه وقربها بحنان نحو ثغره وطبع عليه قبلة حانية حملت من المشاعر ما جعلت أطرافي ترتعد ، وأنفاسي تضطرب ، وقلبي يدق بجنون حتى كاد ينخلع من بين أضلعي ، قال بصوت باكي جعل قلبي يبكى معه : أرجوكِ كونى أقوى من هذا ، عودي ملك المرحة المنطلقة ، لا تزيديني عذاباً وأنا أراك هذا .

دق قلبي بعنف ، وتدافعت أدمعي بجنون ، وتسارعت انفسي مما جعل صدري يعلو ويهبط بشدة ، وقلت بصوت غير صوتي : هل أنت من كنت تجلس بحوارى في المشفى ، حين كنت بالغيبوبة ؟!

نظر إليّ بعيون منكسرة ، وأجاب بصوت يشوبه البكاء : لم أتركِك لحظة واحدة ، رحلت فقط حين ظهر عليكِ بوادر الشفاء ، حينها خشيت مواجهتك ، فرحلت .

سألته بصوت مرتعد ، وأنا أنظر إليه بترقب وخوف : هل ما زلت تحبني ؟؟

أمسك وجهي بين كفيه ، ومسح دموعي بسرعه ، وقال بلهفة من يخشي ضياع شيء مهم منه : لم أتوقف عن حبك يوماً لتطرحي لي هذا السؤال ، أنا أحبك بكل جروحي وحواسي

أنتِ ملاكي يا ملك ، أنتِ من أحيا بعشقها ، صدقيني لا تكفي كلمات العالم أجمع لكي أصف لكِ مدى حبي وولعي بكِ .

أجهشت بالبكاء ، وعلا صوت نحيب ، اهتزت كل ذره بجسدي وأنا أجد نفسي مطوقه بذراعيك القويتين ، ازددت تكوراً بين أضلعك ، تمنيت لو أشق صدرك وأختبئ داخله ، أو أظل هكذا بين ذراعيك مدى الحياة ، لا أحتاج لشيء آخر

هذا كل ما أتمنى ، أن أظل تحت عرش مملكتك .

لا أدري كم مر من الوقت على حالتنا تلك ، وأنا أبكي بين ذراعيك ، ربما دقائق أو ساعات ، أم إنها أياماً أو سنيناً أو حتى دهوراً ،، حقاً لا أعلم .

ظللنا هكذا مدة لست قادرة على تحديدها ، ما أقدر حقاً على تحديده هو أنني كنت كالقطة المشردة التي ما إن وجدت ملجأ

لها ، تشبثت به بكل ما أوتيت من قوة ، فكنت أنت يا إيهاب ملجأي ووطني ، وملاذي الوحيد الذي أشعر فيه بالأمان .

توقفت عن البكاء، وساد الصمت إلا من صوت دقات قلبك المتسارعة ، وأصوات أنفاسك اللاهثة ، لم أرد أن أتحرك من فوق صدرك الآمن إلا لكى أنظر لعينيك وأنهل من بحورهما مزيداً من الأمان ، وبعد لحظة صمت قطعتها أنا متسائلة : وماذا عن سارة ؟!

لمحت بعينك دهشة مفاجئة ، وقلت وأنت تحاول إخفاء توترك : لا اقصد ماذا تعنين ؟

حاولت تمالك نفسي ، وأنا أجيب : ألم تقل بأنك تحبني قبل قليل ؟!

أجاب على الفور : طبعاً .

- إذا وماذا عن سارة ؟ أم أنك تحبها أيضاً ؟

توجع قلبي وأنت تغمض عيناك ، وتشحذ نفساً من صدرك ، أدركت حينها بأنك لست على استعداد بالتخلي عنها ، فأنا

أعرفك يا إيهاب حق المعرفة ، فلو كنت تريد البقاء معي مقابل التخلي عنها لأجبت دون تردد ، لكنك فكرت قبل أن تقول : لا يا ملك ، أنا لا أحب غيرك ، وأنا على يقين بأنك تعلمين هذا

ولكن حبى لكِ لا يعطيني الحق في جرح قلب فتاة غيرك ، وخصوصاً إذا كانت تحبني بإخلاص مثل سارة .

صرخت بصوت متقطع من البكاء : أنت محق فعلاً ، فحبك لي يعطيك الحق في أن تجرحني أنا ، وتمزق قلبي تحت قدميك ، فلا يهم ما يهم حقاً هو أن تحافظ على مشاعرها هي ، حبك لي يعطيك الحق في كسري دون حتى أن تلتفت لتطمئن عليّ ...

وضعت يدك علي فمي لتمنعني من مواصلة الحديث وقلت : لا ، أنا لم أقل هذا ، وعليكِ أن تفهمي وتدركي جيداً بأنني أيضاً أتألم لبعدي عنكِ ..

- حسناً إذن ، إذا كان كلانا يتألم في بعده عن الآخر ، لمَ لا نكون سوياً فحسب ؟!



انتفض جسدي وأنا أراك تقف من أمامي بعصبيه شديده ، وتوليني ظهرك ، وتصرخ قائلاً : هل تظنين حقاً أن الأمر بتلك السهولة التي تتحدثين بها ؟! أنت تتحدثين عن قلب ثالث سيحطم دون أدني ذنب ، سوى كونه من أخترته في لحظة غضب وحزن منى ليكن بجانبي - التفت إلي بحدة وأكملت والدموع تتراقص بين مقلتيك - لا يمكنني أبداً أن أتخلى عنها ، وأحملها ذنب خطأ اقترفته أنا .

أنهيت حديثك و أنت تنظر لي نظرة رجاء لا أفهم ماذا كنت تعنى بها ، هل حقاً ترجو منى أن أوافق على وجودك مع غيرى ؟ ما هذا الهراء ؟ أتعلم أمراً أنى أقبل بكونك تصبح رماداً ولكن لا أقبل بامرأة غيري معك .

وقف كلانا ينظر للآخر دون كلمه واحدة ، نظرت إليك بألم

وقد أدركت أنه مهما حدث ، وبرغم حبك لي ، فلن تتركها وتكون معي ، أدركت حينها أن الكلمات في هذا الموقف لن تجدي بشيء ، بل ستحطم ما تبقى من كبريائي ، وتترك مزيداً من الجروح والكدمات بروحي السقيمة ، ظللنا علي حالتنا

تلك من الصمت إلى أن قطع صوتنا طرقات على الباب ، تبعها ظهور تلك الحمقاء من خلفه ، ألهب ظهورها في قلبي نيران الحقد والغضب ، تمنيت لو كنت على ما يرام لأمسك بشعرها الأشقر هذا ورميتها من النافذة لأتخلص منها إلي الأبد .

ألقت علينا التحية ، وقالت لي بابتسامة كريهة : ألف لابأس عليكِ ، جئت للاطمئنان على حالتك .

بالرغم من عودة صوتي إلي ، إلا أنني تظاهرت بعدم القدرة على الحديث ، وكان هذا أفضل ما قمت به ، فلو أنني أجبت عليها لكنت ألقيت عليها وابل من الشتيمة واللعنات التي أعرفها وغيرها مما لا أعرفه ،، وبعدما لم تجد منى رد توجهت ببصرها إلي إيهاب الواقف أمام فراشي ، ينظر إلي بعينين جامدتين ، وقالت : إيهاب كنت أريدك في أمر ما .

****

دق قلبي بعنف حتى كاد ينفجر ألماً ، وأنا أراه يتوجه إليها ليخرجا سوياً من الغرفة بأيدي متشابكة ، وأنا أتابعهما من فراشي الذي شعرت به ناراً تحرقني ، وتحولني هشيماً مندثر ،



رحل معها دون حتى أن يكلف نفسه عناء النظر إليّ ، أم أنه كان يخشي رؤيتي منكسرة ، ذليلة بسببه .

رحل معها وتركني مع آلامي أتجرع كؤوس العذاب ، وأتناول سموم الآهات ، تيبست مكاني وتسمرت عيناي على باب الغرفة المغلق دون أدني حركة مني ، أتأمله و بداخلي على يقين من أنه بعد لحظات سيفتح ، ليظهر إيهاب خلفه

ويعود مجدداً ينتشلني من عالم الأحزان هذا ، ويلقي بي في عالمه بين ذراعيه ، و يغمرني بدفئه وحنانه ، وينتشلني من دوامة الضياع تلك ، إلى بر الأمان ، طال نظري إلى الباب المغلق ، وطال انتظاري لفتحه ، مر الكثير من الوقت لا أدري كم كان مقداره ، ومازال ذلك الباب اللعين مغلق يأبي الانفتاح ، كنت مازالت مأخوذة بما حدث ، يأبي عقلي تصديق أن إيهاب الآن مع غيري على الرغم من حبه لي

، أخذت الأحداث تتوالي مجدداً أمام ناظري مذ وطأة قدمي تلك المزرعة البغيضة ، في حين كان قلبي يتمزق وجعاً

وأنفاسي تُحبس بين ضلوعي تأبي الخروج ، وعقلي يصرخ بكل ما أوتى من قوة أن كفى ، والغرفة تدور من حولي ، و أنفاسي تتسارع تارة وتختنق تارة ، وقلبي يأن من الوجع ، وشرايين تكاد تفجر بداخلي ، والفراش من تحتي يشتعل بنار الوجع ، والألم برأسي يتفاقم ، و أنفاسي تتسارع ، الغرفة تدور ، الفراش يزداد اشتعالاً ، قلبي ينزف أنفاسي تحبس ، ألم رأسي يستمر في تزايده ، الغرفة تدور ، عقلي يصرخ كفى ، أضع يداي على أذني بعصبيه ، ويستمر الدوار ، ويزداد الفراش بناره ، رأسي يكاد ينفجر ، الغرفة تدور ، شراييني تتسع حد التمزق ، النيران تتأجج بأوصالي ، أصرخ بأعلى صوتي " كفى "

ليفتح الباب بقوة ويظهر من خلفه ندا مذعورة ومعها بثينة الخادمة ، بعدما سمعا صراخي ، وألقى بنفسي بين ذراعي ندا وأنا انتفض ألماً ، وأخذت تهدئ من روعي ، في حين أحضرت لي بثينة كوباً من الماء ، وقدمته لي بلهفه ، أخذته منها وانا أحاول السيطرة على رعشة يدي حتى لا يسكب الماء كله على الأرض ، وتناولته متجاهله تلك الغصة بحلقى ، وروحت أنظم

أنفاسي تحت أنظار ندا وبثينة المفزوعة ،مسحت ندا وجهي بكفها ، وسألتني بخوف حقيقي : هل أنتِ بخير الآن ؟!

نظرت إليها مطولاً ، يبدو سؤالها في غاية البساطة ، إلا أن الإجابة في غاية التعقيد ، فأنا لست بخير أبداً ، فروحي مجروحة ، وجسدي منهك القوى ، وقلبي مفجوع ، وعقلي فقد اتزانه ، أي خير هذا يا ندا ؟ أي خير ؟

نظرت إليها بإصرار لا أعلم حقاً مصدرة ، لأجيب قائلة : لا ، لست بخير يا ندا ، ولكنى أريد ذلك ، أريد أن أكون بخير .

تهللت أساريرها ، واعتدلت في جلستها بحماس هاتفه : حتماً ستكونين بخير ،وعودة صوتك بداية التحسن المنشود ، أعدك بهذا .

سرت بقلبي رعشة أمل لم أدرى مصدرها ، أهو كونى أريد مواجهه أحزاني ، أم كونى محظوظة لامتلاك ابنه عم مثل ندا ، سألتها برجاء على الرغم من معرفتي للإجابة : هل تساعدينني .

لتجيب بصوت باكي وهى تحتضنني بين ذراعيها ثانيه : بالطبع أساعدك ، ولن أتركك أبداً إلا في أفضل حالاتك .

ثم عادت تنظر إلي قائلة بجدية مصطنعة : ولكن عليكِ الاستسلام لي وتنفيذ ما آمركِ به .

اكتفيت بابتسامه خفيفة على شفتي ، ونظرت امتنان حقيقيه طلت من عيناي ،فابتسمت لي ابتسامة بريئة تحمل من الود أعظمه ، ثم نظرت إلى بثينة الواقفة جوارنا على بعد خطوتين من الفراش ، ووجهت لها الحديث قائلة : أرجوكِ يا بثينة أحضرى لنا الطعام .

أومأت لها بثينة ثم رحلت بخفة ، فقالت لي ندا بعزم : سنتناول هذه المرة الطعام سوياً ، ولن أدع لكِ مجالاً للتهرب .

ابتسمت لها بوهن وأنا أراها تعاملني معاملة طفل صغير عنيد ، فقلت بصوت يكاد يكون مسموعاً : سأذهب لاستحم أولاً .

لم انتظر ردها فأزحت الفراش من على قدماي ، وأنزلتهما على الأرض ببطيء شديد ، فقد شعرت بأنهما أثقلتا بسلاسل من

حديد ، ثم نهضت ندا وساعدتني على الوقوف ، نظرت لها وبابتسامة واهنة قلت : لا تقلقي أنا بخير ، سأستحم بظرف دقائق واستعيد نشاطي .

أومأت برأسها مبتسمه ، وأفسحت لي المجال لأذهب إلي الحمام الملحق بالغرفة بعدما أشارت لي باتجاهه ،

****

ارتميت بجسدي داخل حوض الاستحمام ، بعدما تم ملؤه بالمياه الساخنة ، التي شعرت بها تتوغل أنسجتي ، لتخترق شرايين ، وتنتشي بعضلاتي ، أرخيت جسدي أكثر ، وانا اشعر بخدر المياه يتغلغل بأوصالي ، زاد ارتخاء جسدي مع امتداد فتره بقائي داخل الماء ، وبالرغم من طول فترة مكوثي إلا أن قلبي لم تطاوله المياه بعد ، ظل مقبوض ومحاط بالوجع ، وذلك الثقل فوق صدري أبي إلا أن يبقى في مكانه دون حراك ، غفلت عيناي أو هكذا أظن ، فقط طالت فترة بقائي داخل الحوض عن الحد المعقول ، لا أفعل شيء سوى النظر إلي اللا شيء ، النظر إلي نقطة وهمية في الفراغ أمامي ، وكأن عقلي قد خلا من كل

شيء ، لا أعرف كم استمرت من الزمن على تلك الحالة ، ولكن ما اعرفه انى مكثت الكثير ، نهضت بتثاقل من لا يريد الانتهاء أو الخروج مطلقاً ، فلولا صوت ندا الذي أتاني يعجلني بالخروج ما خرجت الآن ، جففت جسدي ، وارتديت ملابسي على عجله ، والقيت بشعرى المبتل على كتفي ، وخرجت وقطرات الماء تتساقط منه ، معنه احتجاجها عن سرعتي في الخروج دون تجفيفه ، وجدت ندا تجلس على المنضدة وأمامها أنواع كثيرة من الطعام ، لتلفح أنفى رائحته الشهية ، ما أتعجب له حقاً هو أنني أشعر ولأول مرة منذ دلفت إلى هنا بأن لدي حاسة شم طبيعية ، ففي المرة السابقة التي أتوا لي فيها بالطعام ، لم أشم تلك الرائحة الذكية التي تسللت إلى انفي ، وانتشت بذرات جسدي ، لتثير معدتي الخالية من الطعام ، جلست بجوار ندا ولكنى هذه المرة لم انتظر منها أن تحثني علي تناوله ، بل أنى شرعت في الأكل بشهية مفتوحة ، كانت كل لقمة تستقر بمعدتي تشعر بوحدتها ، لآتي لها بالمزيد

واستمريت هكذا آكل بنهم شديد وكأنها المرة الأولى في حياتي أتناول فيها طعاماً ، حتى انى شعرت بنظرات ندا المتعجبة تلحقني وأثناء تناولي للطعام ، لا أنكر أن جزءاً كبيراً من قوتي الجسدية شعرت به يعود إلي تدريجياً ، وكلما زادت قوتي زاد حماسي ، وصرخ بي عقلي أن " عودي يا فتاة إلى قوتك ، لا تدعي لأحد أن يقوم بكسرك ، حتى وإن كان أكثر من تحبين على وجه الأرض ، كونى قويه لمواجهه أحزانك ، كونى شجاعة لتحاربي من أجل عودته ، لتحاربي من أجله ، من أجل إيهاب "

نعم ، لن أستسلم لضعفي بعد الآن ، لن أغرق في وحل الأحزان هذا ، سأنتشل نفسي منه ، وسيكون أكبر هدفي هو إعادتك يا إيهاب ، مهما كلفني الأمر ، فأنت لي وأنا لك

ولا مكان لتلك السارة بيننا ، فقط أنا وأنت ..

أنهيت طعامي الذي لم أترك منه شيئاً ، ولا أدري هل تركت شيئاً لندا تأكله ، أم أنني لم الاحظ ذلك أثناء تناولي للطعام ؟ حقاً لا أتذكر ، نظرت إلي بعيننا تشعان سعادة ، وابتسامه



عريضة زينت شفتاها ، وقالت : أنا سعيدة جداً ، لتناولكِ الطعام .

قلت وأنا أضع يدي على معدتي المنتفخة : كنتُ جائعه جداً .

فضحكت بشده وهى تقول : هذه بوادر التحسن إذن .

ابتسمت لمرحها وقلت : معكِ حق ، ثم أكملت وأنا أتثاوب : ما ينقصني الآن حقاً هو قليل من النوم .

قالت مشاكسة : أو كثير منه لا يضر .

تأملتها بصمت وأنا أتساءل بداخلي عن هذا الكم الهائل من الحب الذي تحمله تجاهي ، فقلت بطريقه مفاجئة : أتعلمين أنني محظوظة بكِ ؟

سألتني مدهوشة : بي أنا ؟ لماذا ؟

- نعم محظوظة بكِ ، لأنى أملك شخصاً يحبني بكل هذا القدر ، دون حتى أن يتعامل معي ، ويعرفني جيداً .

بابتسامة هادئة علقت : صدقيني لا أحتاج لأتعامل معكِ كي أعرفك ، فأنا أعرفكِ حق المعرفة .

سألتها بترقب : ولكن كيف لكِ أن تعرفيني دون أن تتعاملي معي ؟

قالت دون تفكير : لأن إيهاب قد تعامل معكِ ولطالما أخبرني عنكِ .

قرأت على ملامحها علامات الندم بعدما تسرعت فيما قالته ، اعتقاداً منها بأنها أشعلت جرحاً نائماً ، ولكن مالم تكن تعلمه أن ذلك الجرح لم يكن قد خمد بعد .

أخرجتها من دوامه الندم التي القت بنفسها بها وقلت : سأخلد إلى النوم .

فعلقت : وأنا سأذهب لأكمل دراستي ، نوماً هانئاً .

بابتسامة وهانة قلت : شكراً لكِ .

غادرت الغرفة بعدما اطمأنت إلي اندساسي في السرير تحت الفراش ، أما أنا فما إن وضعت رأسي الثقيل فوق تلك الوسادة ناعمة الملمس ، حتى ألقت بي في عالم اللاوعي .

****

أميرة

واقفه أتأمله كعادتي ، و أتابع موجاته المضطربة ، وقدماي تغوصان في رمال شاطئه ، وخصلات شعري تتطاير خلفي بعشوائية مع نسمات الهواء البادرة ، لأشعر بها تتغلل صدري ، وتملؤ رئتاي بيود البحر ، فتنتعش روحي ، وتسري رعدة خفيفة بأوصالي ، التفت حين أتي صوته إلي صراخاً : أيتها المجنونة .

كانت الابتسامة تعرف طريقها إلى ثغري ، وتراقص قلبي سعادة حين رأيت إيهاب قادماً نحوى ويحمل في يديه كوبين من المثلجات ، فأجبت بدلال حين وقف بجواري لاهثاً : أتعنتني بالمجنونة ؟ هل حقاً تراني هكذا ؟

فأجاب وهو يمد إلي بكوب المثلجات : نعم أراك هكذا ، ولم أرى من هي في جنونك .

قلت وانا أتصنع الحزن : هل كل هذا لأنى أردت الجلوس على شاطئ البحر قليلاً .

قالت وهو يتناول من المثلجات : لا أنا أتحدث في جميع الأحوال وليس اليوم فقط ..

لم أستطع منع نفسي من الضحك وأنا أراه يتحدث بجدية بينما يتناول المثلجات بنهم ، فقلعت باستنكار : ما هذا ؟ لمَ أحضرت لنفسك المثلجات ، ألم تقل بأن الطقس بارد لا يتلاءم مع تناول المثلجات ؟!

قال وهو ينظر أمامه ومازال يتناول من المثلجات : لا دخل لكِ.

ضحكت بكل ما أوتيت من قوه حتى شعرت بطيف دمعه تتراقص في مقلتي ، ثم شرعت أتناول من المثلجات ، بينما ساد الصمت إلا من صوت الأمواج المندفعة باتجاهنا ، وبعد لحظات كان قد انتهى فيها من تناول المثلجات ، ثم قال بصوت هادئ رزين : انظري يا ملك إلى السماء .

فرفعت رأسي بتلقائه نحوها ، وأنا أتوقع احتوائها علي النجوم التي لطالما تأملناها معاً ، ورسمنها بها العديد من الأشكال الخاصة بنا فقط ، لأجدها خاليه تماماً ، فنظرت إليه بحيرة ، ليبادرني متسائلاً : كيف ترينها ؟

هززت كتفي وقلت بلا مبالاة : فارغه .

نظر إلي دفعه واحدة ، وتساءل وهو يرفع حاجبيه دهشه : فارغه ! أهذا وصفكِ لها ؟!

فتساءلت وقد تزايدت الحيرة من سؤاله العجيب هذا : وما هو وصفك أنت الذي تراه مناسباً ؟

عاود النظر إلي السماء مرة أخرى ، بينما استمريت أنا أتأمله كما لو كنت أراه للمرة الأولى ، ذلك الرجل يأسرني بكل ما فيه ، وبكل حالاته حتى الغريبة منها ، والتي تتجلي أمامي الآن ، قال بعدما سحب نفساً عميقاً من صدره :

أراها صافيه تماما ...

صرخت فيه قبل أن يكمل باستنكار : ماذا ؟!

فنظر إلي بتعجب وعلامة استفهام كبيرة تظهر على محياه ، فأردفت بنفس نبرة الاستنكار : أتتعجب من وصفي لها بفارغه ، لتقل لي أنت صافيه ، أين الفرق يا هذا ؟

تلقى سؤال بدون أي ردة فعل ، ثم نظر للسماء مجدداً ، وقال بهدوء كما لو كان في عالم آخر : هناك فرق كبير عزيزتي

فكونها صافيه لا يعنى بالضرورة أن تكون فارغه -ثم أشار بيده لأعلى نحو السماء - هل تظني أنها حقاً فارغه ؟ لا بالطبع فهي تحتوى من المجرات مالا تراه أعيننا فحسب ،

وعلى النقيض عزيزتي ، فكون الشيء فارغ لا يعنى كونه صافي ، فها هي السماء تظهر لكِ فارغه من النجوم إلا أنها في حقيقه الأمر تحتوى عليها ، وأنت فقط من لا يستطيع رؤيتها .

نظر إلي بفارغ الصبر ، وسأل بضيق : هل عرفتي ما أقصده بالفرق بينهما ، أم أشرح مجدداً .

لم أستطع أن أخفى البلاهة التي ظهرت على وجهى ، ولكنى هززت رأسي بسرعه وقلت : فهمت فهمت .

تحرك برأسه مرة أخرى نحو السماء، ثم أردف وصفه لها : إني أراها صافية تماماً مثلك .

ثم نظر إلي بغتته ، لأجد قلبي يقع بين قدمي ، ووجنتاي تشتعلان خجلاً ، في حين تظاهرت بالتماسك لأترك له المجال لإنهاء حديثه الذي أخذ منحنى يروق لي ، فأكمل وهو ينظر مباشرة في عيناي ، لأغرق أنا في بحور عيناه ، قائلاً :

أراها صافية كما في صفاء روحك ، واسعه مثل سعه صدرك ، هادئة مثل هدوء جمالك ، شامخه مثل شموخ كبريائك ، عالية مثل علو مكانتك في قلبي ..

كان قلبي يدق بجنون ، وضعت يدي على صدري أرجوه بأن يكف عن العبث ، إلا أن شفتاي لم تتوقفا عن عبثهما ، فأظهرا ابتسامة واسعه عريضة ، لم أستطع إخفائها ، فقلت وانا أحاول أن أداري خجلي : ولكنني لست في كل الأحوال صافيه .

اتسعت ابتسامته ، والتفت بكامل جسده نحوى ، فتساءل وهو يعقد يداه أمام صدره : حقاً ، وما هي الأحوال التي تتخلين فيها عن صفائك إذن ؟!

نظرت إلي البحر ، وقلت بينما أضيق مقلتاي علامة التفكير :

لا يتبادر إلي ذهني الآن حالات معينه ، ولكنني استطيع أن استنبط أحوالاً لن أكن فيها صافيه أبداً .

قال وهو يداعب أنفي بطريقته التي أعتدتها منه : وما هي إذن ؟!

أجبت وأنا أنظر له بتوعد : في حين مثلاً تحبك امرأة غيري .

ضحك ملئ شدقيه ، ويبدو أن الكلام أسعده ، فقال متسائلاً : وما ذنبي أنا إن وقعت إحداهن في غرامي ؟ من المفترض أن يكون ما يهمك حقاً هو كوني لا أهتم لأحد غيرك !

قلت بتحدٍ وإصرار : لا يا عزيزي ، فأنت مسكين لا تعرف كيد المرأة ، وما تستطيع فعله حين تقع في غرام أحداً ، تكن علي استعداد لفعل أي شيء فقط لتكون بجواره .

- وأنتِ ماذا ستفعلين إن أحبتني إحداهن ؟!

ألقيت سؤالك واستقبلت أنا به نبرة سعادة خفيه ، فمن الواضح لي أن غيرتي التي ظهرت في حديثي أسعدتك وبشده ، أجبت وأنا أتجاهل فرحك هذا قائلة : سأحارب العالم أجمع إن تطلب الأمر لتبقى لي وحدي ..

****

بين الواقع والسراب أسمع اسمى يُنادي من بعيد ، أبحث في غياهب الظلمات عن مصدره ، يتردد صداه باذني ليحفز عقلي للانتباه ، أتلفت حولي في ذلك الظلام الدامس المحاط بي ، واسمى مازال يتردد بالأركان ، ليظهر من بعيد بقعة ضوء دائرية ، أركض نحوها واسمى يتردد أكثر ، وبصوت يزداد علواً مع اقترابي ، أصبح على بعد خطوات من تلك البقعة المضيئة ، لأري ندا تقف داخلها وتنادي باسمي ، ثم أفتح عيناي بتثاقل لأجدني ممددة على فراشي ، ووجه ندا المذعور أمامي ، تنادي باسمي في فزع ، وما إن رأتني أستيقظ حتى زفرت براحة ، وقالت بصوت متعب : ما كل هذا النوم يا ملك ؟ أقلقتني عليكِ .

اعتدلت في جلستي ، وعظامي تكاد تفتك من الألم ، ورأسي كما لو أنه خُدر بخدر النوم ، ولم يفق بعد

سألتها : كم من الوقت استغرق نومى ؟

أجابت : لقد نمتى يوماً كاملاً .

بدهشه سألتها : كيف ؟

لتجيب مؤكدة : نمتى أمس قبيل غروب الشمس ، وأيقظتك الآن ،وها هي الشمس تميل نحو الغروب ..

لم أكن أصدق هذا ، ولم أشعر إطلاقاً بأنني نمت ليوماً كاملاً ، تراني أهرب من الواقع بالأحلام ؟

ولكن إن هربت من واقعى ، من سيرد إلى إيهاب إذن ، إن لم يكن أنا ؟؟

وبإصرار شديد سألتها ، وأنا أمسك برأسي الذي لا يغادره الألم : هل لديكم أيه دواء لوجع الرأس ؟!

أجابت وهى تنهض متجهه نحو الدولاب الذي يحمل ملابسي ، وفتحته على مصرعيه ، ثم التفتت إليّ قائلة : نعم لدينا ، ولكن يجب أولاً أن تنهضي وترتدي ملابس جيدة ، لتنزلي وتتناولي معنا العشاء ..

بالرغم من كونى أخذت قرار بالتمسك بإيهاب ، وفعل كل ما بوسعي وعدم التنازل عن كونه بحوارى ، إلا أنني حين جاءتني

الفرصة ، شعرت بضعفي المكمون داخلي يتسلل من مكمنه وينتشي بأطرافي ، كنت أخشى مواجهته مرة أخرة ، كنت أهاب رؤيته مع امرأة غيري ، ترى كيف سأتعامل مع هذا الوضع ؟ بالطبع لن يقدر قلبي على تحمل هذا ..

أخرجتني ندا من شرودي ، وكأنما كانت تسمع و تعي جيداً ما أفكر به ، جلست بجواري وقالت وهى تدقق النظر في عيني ، كأنما تريد أن تنقل إليّ القوة خلالهما : أعلم جيداً مدى حبك لإيهاب ، وأعلم أيضا كم هو من المميت رؤيته مع أخرى ، ولكنني أقسم لكِ أن قلبه لا يحمل من النساء سواكِ .

انهارت قلاع القوه التي بنيتها لنفسي ، وخار سور كبريائها العالي ، وأنا أعلق بصوت متقطع وأنا أحاول جاهدة السيطرة على دموعي وحبسها بين جفوني : أعلم أنه يحبني ، ولكن ما قيمة هذا الحب وهو لغيري ؟ لم إذن ذهب لأخري إن كان يحبني حقاً ؟ لا أجد له مبرراً منطقي لما فعله ..

اقتربت منى أكثر وشحذت من صدرها نفساً عميقاً ، وكأنها تبحث عن الكلمات المناسبة لتترافع عن أخيها ، وقالت : لا

تفكري هكذا ، ولا تفكري بالماضي ، ما حدث قد حدث وانتهى الأمر ، لقد أخطأ أخي في لحظه غضب منه ، وبسببه أنتما الاثنان تعانيان الآن ، ولكنى أريدك أكثر قوة ، وأكثر تفاؤل ، وتتركي الأمور للقدر يرتبها هو ، وتكوني على ثقة بأنكما كتبتما لبعضكما ..

نظرت إليها بأعين منهكة ، وسألتها كمن يتعلق بقشة أمل : هل تظني هذا حقاً ؟!

لتومئ برأسها بحماس ، وتجيب : بالطبع .

لوهلة نسيت ألم رأسي أو تناسيته ، وكعادتها عرفت كيف تدب شعاع الأمل في صدري ، وجدتني أحتضنها بشدة وأهمس بأذنها : دمتي لي سنداً .

لتضحك بعفوية ، وتزيحني من صدرها لتقول بجدية مصطنعة : هيا إذن وكفاكِ دلالاً ، اذهبي لتستحمي وترتدين ثيابك لتهبطي إلينا ، فلم يتبقى شيء على موعد العشاء .

سألتها بفزع : ألن تنتظري لنهبط سوياً .



ضحكت وهى تجيب : أنتِ في منزل عمك ، لا تحتاجين إلى مرشداً بالطبع .

أومأت لها برأسي دون أن أنبس ببنت شفة ، وتابعتها وهى تخرج من الغرفة بخفة ومرح ، تماماً مثلما تدخلها ، أزحت العطاء من فوقى بتكاسل ، وبعد مفاوضات مع نفسي استجمعت قوتي ،ونهضت متجاهلة ذلك الألم الشديد الذي بدت أشعر أنه جزء لا يتجزأ من تكويني ، دلفت إلي الحمام واستحممت بسرعه حتى لا أدع لعقلي مجالاً للتفكير في أي شيء ، ثم توجهت إلي الغرفة وإلي الدولاب خاصة ، وقفت أمامه وحباب المياه تتساقط من شعرى المبلل ، وأخرجت بنطالاً جينز ارتديته ، ثم تناولت بلوزة سوداء أمامي ذات أكمام طويلة ، ومزينه ببعض الورود الصغيرة الملونة عند طرف الأكمام ، وارتديتها على عجل ، ثم جلست أمام المرآة دون أن أنظر إلي نفسي بها ، وشرعت في تجفيف شعري

ثم قمت بمشيطه ورفعه لأعلى بدبوس واحد ، وما إن انتهيت حتى رفعت نظري إلي تلك التي تجلس في المرآة أمامي ، لأتفاجئ بمظهري كما لو أنى لم أنظر لنفسي منذ قرون ،

صدمني وجهي الشاحب شحوب الأموات ، وأرعبتني تلك الهالات السوداء المتكدسة أسفل عيوني ، وأحزنني لون شفتاي كما لو أنهما شفاه لشخص قد فارق الحياة ، وهربت منها الدماء ، تيبست مكاني للحظات وأنا أتأمل شكلي وما آل إليه ، لقد بدوت أكبر من عمري بعقود ، فأنا مازالت في الثالثة والعشرين ، بيد أن من يراني يحكم بلا أدي تردد أنني امرأة في الأربعين من عمرها ، مددت يدي إلى دبوس شعري وأزلته ، لأترك المجال لشعري الناعم الطويل حالك السواد بأن ينسدل بحرية فوق كتفاي ، وكأنني أذكر نفسي بأنني ما زلت أحمل من معالم الجمال شيئاً ، دققت النظر إلي نفسي بعدما أحاط الشعر وجهي وأوضح معالمه الحسناء ، ولكنني سرعان ما رفعته مرة أخري ، وثبته بالدبوس ، فلا منظر وجهي ولا ملابسي مناسبه لتركه حراً ليزين ظهري ، أزحت نظري من على وجهي بألم ، وبداخلي يصرخ لما آل إليه مظهري ، توجهت ناحية الباب ، وأنا أشعر بأنني حين أفتحه سأفتح لنفسي عالماً آخر من المعاناة والعذاب ، سحبت نفساً عميقاً كمن يستعد لخوض حرب ما وفتحته بيد مضطربة ، ثم خرجت إلي عالم ينتظرني فيه الكثير مما لم أحياه بعد ،

هبطت الدرج بخطوات مترددة ، متوجسه ، مضطربة ، كنت أشعر بأنها المرة الأولى التي أري بها ذلك البيت الشاسع ، فالطابق الثاني كان يتكون من ممر طويل يحمل العديد من أبواب الغرف ، أما الطابق السفلي هذا فكان تكون من صالة بالغه الاتساع ، يقبع في منتصفها عمود ضخم زين بالعديد من الزخارف ، وعلي يمينه وجد صالون فخم ، ذو هيبة كما لو كان قد خصص لملوك يجلسون به ، وعلي يسار العمود توجد سفرة طعام غايه في الكبر ، كما لو أنها صنعت خصيصاً لتناسب الولائم العملاقة ، وكان يقبع بحوار السلم مكتبه كبيرة ،تحمل الآلاف من الكتب مختلفة المجالات ، لولا أنني وجدتهم جميعاً يجلسون بالصالون وينظرون إلي بفضول لشديد ، لكنت توجهت على الفور إليها ، لا لأقرأ فأنا لم أحب القراءة يوماً على عكس والدي وإيهاب ، بل لأخمد فضولي هذا الذي يثيرني للعبث بالأشياء المنظمة كما لو أنه يكره أن يدع شيئاً مرتباً ،

توجهت اليهم بخطوات متباطئة ، وأنفاس مضطربة لأفاجئ بوجود أوجه جديدة على ناظري ، واختفاء أكثر وجه أعشق ملامحه في هذا المنزل ، لا أنكر أنني بالرغم من الغصة التي شعرت بها حين لاحظت اختفاء تلك الشقراء أيضاً ، إلا أنني شعرت ولو بالقليل من الارتياح لكوني لا أراهما سوياً أمامي ، فمهما كان الألم والوجع الذي أشعر به ، إلا انه سيتفاقم إذا رأيتهما معاً أمام ناطري .

أفاقني صوت عمى وهو يرحب بي ، بعدما لاحظت أنني لم أنطق بكلمه لأحييهم ، وقال لي وهو يشير إلي رجل بجواره : هذا يا ملك مجاهد عزمي شريكي في هذه المزرعة .

كان يبدو في عقده الخامس ، ملامح الطيبة والحنان تظهر جليه على وجهه ، بالرغم من التجاعيد التي غزته إلا أنها لم تفلح في أن تخفى طيبته ، بالرغم من جلوسه إلا أنه ظهر واضحاً وجلياً قصير القامة ، وكان يقرب إلي الامتلاء ، وبابتسامة بشوشه صادقه علت وجهه ، رحب بي قائلاً : سعدت برؤيتك يا ملك .

أومأت ليه برأسي ،و بابتسامة شعرت بأنها بلهاء إلي أبعد الحدود ، وعلقت : شكراً لك .

ثم أشار لي إلي شاب يقبع بحواره ، شعرت بأنني أنظر إليه لأول مرة ، وقال لي ومازالت الابتسامة تزين وجهه : وهذا نادر ابنى .

ما إن قال جملته ، حتى نهض نادر من جواره ، واقترب منى بخطوات رشيقة ، ثم مد إلي يده ، وابتسامة واسعه تتدين على شفتيه أظهرت غمازه في إحدى خديه ، وقال بصوت مرح ، يمتلئ بالحماس : تشرفت بلقائك آنسه ملك .

نظرت إلى يده الممدودة نحوى بتردد ، ثم مددت يدي بارتباك واضح ، ظهر جلياً في رعشة يدي التي لم أفلح في إخفائها ، ولكنها هدأت حين استقرت يدي بين أصابعه ، شعرت بحماس لا أعلم مصدره وهو يهز يدي بقوة ، كما لو كان يسلم على أحد من أعز أصدقائه ، بحثت عن صوتي وقلت بصوت مختلف عنى : وأنا أيضاً .

اتسعت ابتسامته وزادت غمازته في وضوحها ، ثم عاد بنفس خطواته الرشيقة إلى مقعده ، وجدت نفسي أتأمله فضولاً ،



وتعجبت كيف لهذا الرجل ذو القامة الفارهة تلك بأن يكون والده قصير القامة هكذا ، لابد وأن والدته طويله القامه إذاً

ارتسمت ابتسامه سخريه علي شفتي ، حين لاحظت أن ذلك الرجل قد أخذ من انتباهي حد التفكير في توارثه لجينات الطول ، ولكنني تابعت تأملي له من طرف عيني ، فقد كان جذاباً إلى حد كبير بابتسامته الخلابة تلك التي تزين ثغره ، وبشخصيته المرحة التي تظهر جلياً لأى شخص يراه وحضوره الواثق ، فقد كان يتحدث بمرح وفي عيناه الضيقتان هاتين نظرة ثقة جذابة ، أخذوا جميعاً يتبادلون الحديث بينهم ، تتخللها النكات والضحكات ، اكتفيت بابتسامه باهته علقتها بشفتي ، بينما كان عقلي مع ذلك الغائب ، وفى غمرة حديثهما جاءت بثينة تعلن عن انتهاء تجهيز الطعام ، ليقفوا جميعاً ويتوجهوا إلي السفرة المستقرة على الجانب الآخر من هذا العمود القابع في المنتصف ، كانوا يتوجهون واحداً تلو الآخر وأنا واقفه متيبسة بمكاني انظر إلي الباب المغلق أتساءل ، ألن يظهر إيهاب من خلفه ، ليأكل معنا ؟؟

شعرت بمن يقترب منى ، التفت إليها وأنا علي يقين بكونها ندا تستحثني على الذهاب معهم بعدما غادروا جميعاً وبقيت أنا ، إلا أنني صُدمت حين وجدته أمامي ، كان ذلك المدعو نادر ، ينظر إلي بابتسامته المرحة ، وغمازته تطل بوضوح على خده ، ثم سأل : من تنتظرين ؟!

تعجبت لسؤاله ، وما زاد تعجبي حقاً هو كونه يسأل بنبرة تحمل الكثير من اليقين ، كما لو أنه قرأ أفكار ، أجبت بصوت متردد بدا كما لو كان صوت امرأه غيري : لا أحد .

رفع حاجبيه علامه عدم التصديق ، وقطب بين جبينه وبدا لي أنه انزعج من إجابتي ، ثم أنحنى نحو قليلا وغمز لي وقد عاد إليه مرحه في ثوان : ولكن لمَ الكذب ؟!

أجبت بسرعه لأنفي التهمه عنى ، مع كونى أعلم جيداً بأنه محق : أنا لا أكذب .

وضع يده في جيبه ، ورمقني بنظرة ماكرة ، وقال بثقه : سأحاول تصديقك .



شعرت بالدماء تغلي برأسي ، وبدأ الغضب يتأجج داخلي ، ما شأنه هو إن كنت أنتظر أحداً أم لا ؟! بل ما شأنه بي ؟؟

أغضبني تطفله ، بل لا أدري صدقاً ، أكان ما أغضبني هو تطفله أم كونه على حق ؟؟

سبقته إليه المائدة وأنا أرمقه بغضب ، وزاد غضبي حين لمحت ابتسامته الواثقة ، فزفرت بضيق وأنا اتخذ موضعي بجوار ندا التي سألتني مستفسرة : أهناك ما يزعجكِ؟!

عادت بسمتي الفاترة مره أخرى وأنا أحرك لها رأسي نافيه دون أن أنطق بكلمه ، فابتسمت بدورها وأشارت إلى الطعام أمامي بعينها : هيا تناولي الطعام إذن ، فسيبرد ..

قالت جملتها بالتزامن مع جلوس نادر أمامي مباشرة ، بينما كان ينظر إليّ بنفس ابتسامته الواثقة المستفزة تلك ، فقطبت بين جبيني وأزحت بنظري عنه ، وشرعت أتناول الطعام ..لم يكفوا عن الثرثرة أثناء تناولهم للطعام ، شعرت بالشفقة حقاً ناحية أفواههم ، فكيف لها أن تؤدي وظيفتان في آن واحد ! المضغ والكلام ..

بينما كانت شهيتي مسدوده ، فتناولت القليل وشرعت أعد حبات الأرز في الطبق أمامي ، فقفزت ابتسامة على ثغري حاولت جاهدة إخفائها ولكن محاولاتي باءت بالفشل ، فتركتها ترقد فوق شفتاي بسلام ، بينما كانت ذكريات عد الأرز مع إيهاب تقفز في ذاكرتي ، فكانت تلك عادته التي انتقلت إليّ من ضمن عاداته الكثيرة التي أخذتها منه ..

فكنت إذا وضعت له الطعام ، وأجبرته على تناوله وهو غير جائع ، يشرع في عد حبات الأرز ، وكان ذلك يغضبني بشدة ، ودائماً ما أصرخ فيه متسائلة عن الحكمة في شيء كهذا ، ليرد عليّ ببرود قاتل : " لا شيء سوى مرور الوقت في حين تنتهى أنت من تناول وجبتك "

كانت جملته هذه تثير سخطي واستنكاري ، إلا إنني الآن أقوم بما كان يفعله ، ولنفس هدفه ، مرور الوقت إلى حين ينتهوا من طعامهم ومن ثرثرتهم التي أظنها لن تنتهى ..

مرت وجبة العشاء بسلام ، فنهضنا جميعاً وذهبت نجوى لإحضار بعض الحلوى التي أعددتها بنفسها ، بينما توجهت ندا إلي



غرفتها بعد أن أخبرتها بثينة بأن هناك من ينتظرها على سماعة الهاتف ، وبقى عمى وشريكه مجاهد بصحبه نادر يتحدثون بشأن أعمالهم وشراكتهم بالمزرعة ، لم أفهم شيء من حديثهم ، ولم أسعى إلى فهمه من الأساس فلا شيء في هذا يعنيني ، كان حديثهم مملاً رتيباً ، لم أكن على استعداد للمكوث معهم أكثر من هذا ، بحثت عن حجة لأتركهم وأرحل ، فقفزت في رأسي فكرة الخروج إلى الحديقة قليلا لاستنشاق بعضاً من الهواء النقي ، فراقت لي الحجه

حيث كنت أحتاج لهذا حقاً ، فتململت في مكاني ، واستأذنت عمى بصوت هامس يكاد يسمع ، كما لو كنت طفلاً يطلب من ولى أمره ما يخشى عاقبته ، فوافق على الفور قائلاً بوقار كثيراً ما يشبه وقار أبي : بالطبع بنيتي فلتتفضلي ..

****

كان الجو هادئ مسالم ، يحمل بين طياته نسمه بروده خفيفة ، فسحبت نفساً عميقاً أملأ به صدري ، فتنتعش رئتاي بهواء نقى منعش ، فشعرت بخلايا رأسي ترتخى بهدوء بعد أن وصل لها



كميه لابأس بها من الأكسجين ، مسحت المكان حولي بنظره خاطفه سريعة ، كانت الحديقة ذات مساحة شاسعه ، لا تكاد عيناي تميز أولها من آخرها ، بل إن نظري لم يصل إلي البوابة الرئيسية التي دلفت منها يوماً بصحبه المحامي منصور حين كنت غارقه بمنامي ، لمحت منزلاً أخر في الناحية المقابلة لم ألاحظه من قبل يكاد يكون في نفس مساحة منزل عمى ، أو أصغر قليلاً ، لا أستطيع التحديد فقد كان على مسافه كبيرة إلي حد ما ، وقبل أن استكشف ما تحويه الحديقة من أشجار ، أتأنى صوت من خلفي ميزته جيداً : ذلك المنزل ملك لنا ، أسكن فيه مع أبي .

التفت إليه و أنا اعقد يداي أمام صدري في غير ارتياح ، فوجدته ينظر إليّ بابتسامة خفيفة أظهرت غمازته بشكل طفيف ، وأردف : لا أعلم إن كنتِ تعرفين شيئاً كهذا ؟

نظرت أمامي في غير اكتراث ، ورفعت كتفاي علامه الجهل فعلقت : لم أكن أعلم ..

مرت لحظات ثقيلة أظن فيها بأنه قد شعر بغضبي منه ، فقال بهدوء : أنا آسف ،لم أقصد إغضابك حين قلت بأنكِ تكذبين ..

نظرت إليه دفعه واحدة ، فلم أتوقع أن يعتذر لي وهو بالكاد يعرفني ، بل لم أتوقع أن يلاحظ من الأساس غضبي بسبب ما قاله لي ، فأردف وقد لاحظ الصدق يظهر جلياً في عيناه وهو ينظر إلي : ما في الأمر أنني لاحظت شرودك طوال فتره جلوسك معنا ، وكأنك في عالم آخر ، كان جسدك حاضراً إلا أن عقلك كان غائباً ... وحين وقفتي شاردة تنظرين إلي الباب كمن يترقب حدوث شيء خلفه تيقنت بأنكِ تنتظرين أحدهم .. وبسبب فضولي سألتك ..

تنهد كمن يزيح حملاً ثقيلاً على صدره ، فركز نظراته صوبي ، وقال بصدق : أتمنى أن تسامحيني على تطفلي .

حدقت فيه بدهشه ، ولمست الصدق واضحاً جلياً بكلماته ونبرة صوته ، وزاد تعجبي من إصراره على أن أسامحه ، فالأمر لم يكن

يستحق كل هذه التبريرات ، ابتسمت له بصدق ، وقلت بصوت أصبح يشبه صوتي : لا عليك ، فأنا لست غاضبه ..

فانحنى نحوى ، وغمز لي بعينه كالمرة السابقة ، وسألتني بمرح : أحقاً !!

أجبت بعد أن اتسعت ابتسامتي أكثر : حقاً .

تعجبت وأنا أراه يمتلأ بحماسه شديه ، وهو يشير لي نحو منزلهم ، ويتحدث إلي بسرعه كما لو كان يتسابق مع أحدهم : انظري هذا منزلنا كما أخبرتك ، يبتعد عن منزل عمك بالقليل ، ويقبع معه في نفس المكان ،و تلك الخضراء الواسعة هي مزرعة فواكه نشترك فيها مع عمك ، وأنا أعمل فيها كمهندس زراعي ، فأنا لا أري أي شيء يمنع بأن نكون صديقين .

اتسعت عيناي حتى شعرت بهما سينخلعان من مكانهما ، وأكاد أجزم بأن حاجباي التزقا بمقدمه رأسي ، وأنا أتطلع إليه وهو ينتزع يدي التي كنت اعقدها أمام صدري ، ليضع كفي بكفه ، وكأنه يقول لي ستكونين صديقتي شئتي أم أبيتى ، لم أنبس

ببنت شفه في حين استمريت بالتحديق فيه ، فانحنى نحوى، وكانت كفي ماتزال في كفه ، وحرك رأسه بتساؤل : لم تخبريني رأيك ؟

فأجبت بهدوء مخالف تماماً لحماسه المتقد : بالطبع ، فهذا شيء يسعدني ..

قال بمرح وهو يهندم من هيئته : صدقيني لن تندمي ، فأنا صديق مخلص لن تجدي منه على الإطلاق .

فعلقت على كلامه : ومرح أيضاً .

قال بزهو مصطنع : نعم ، وذو ظل خفيف ، أسعدني أنكِ لاحظتي هذا ..

ابتسمت لطريقته في الحديث ، وقلت : لكنى لست هكذا ، أخشى ألا يروق لك مصادقتي ..

نظر أمامه ومط شفتيه وبدا كما لو كان يفكر في أمر هام ، ثم نظر إلي بغتته وضيق عيناه قليلاً ، ثم علق بصوت بدا أكثر رزانه : لا أظن هذا أبداً ..

سكت قليلاً وهو ينظر في نقطه خلفي كما لو كان يتذكر شيئاً ، ثم أردف : لا أظن بأنك لست مرحة ، فعيناك رغم ما بهما من ألم وجرح لم يندمل بعد ، إلا أن بها بريق يكشف عن مرح يقبع في زاويه ما من زوايا نفسك ، وقد أخفاه ضعفك واستسلامك للوجع ..

صمت وأبت آلامي أن تصمت ، كانت كلماته مثل نسمه الهواء التي أشعلت حريقاً بدا وكأنه انطفأ ، ولكنه لم يكن ، هاجت أحزاني التي كنت أخمدها داخلي دفعه واحدة ، وزاد قلبي انقباضاً ، لم استطع منع تلك الدمعة التي قفزت إلى مقلتي ، فأخذت تتأرجح بين جفني ، تنتظر وقت خروجها ،،، ولكن لا لن أبكى أمامه ، لا أريده يظن بي الضعف والاستسلام كما يقول ، سأثبت له العكس ، ولن أبكى مهما حدث ..

لا اعلم إن كنت تحدثت إلي نفسي بصوت عالي ، أم إنه هو من يمتلك قدرة خارقه في قراءه الأفكار ، حيث وجدته ينتقل بنظره إلي قائلاً : لم تمنعين نفسك من البكاء ؟! اتركي

لدموعك العنان ، و اخرجي ما في داخلك ، فالبكاء أمام الغير ليس ضعفاً كما تظنين ..

كانت جملته هذه القشة التي قسمت ظهر البعير ، فأجهشت بالبكاء بدون مقدمات ، وأنا أخفى وجهى بين كفاي ، وهو يقف إلي جانبي دون أن ينبس ببنت شفه ، وبعد فترة أنهيت بكائي وجففت دموعي ، لأجده يقدم لي مندلاً ورقياً ، تناولته منه دون أن أرفع نظري إليه ، وقلت له بصوت هامس : شكراً لك .

فأجاب بجديه بالغه : لمَ الشكر ؟! فهذا دين عليكِ ..

نظرت إليه بتساؤل وقلت : لا أفهم ما تقصد ..

فأشار إلي يدي ، وقال : المنديل ، لا تشكريني عليه فهو دين وسآخذه منكِ لاحقاً ..

نظرت إلي المنديل في يدي لثواني أستوعب ما قاله ، ثم ما لبثت أن انفجرت في الضحك ، وسالت دموعي أكثر صعب علي تميز إن كانت من أثر البكاء أم الضحك ، فجففتها مرة أخرى بواسطه المنديل ، ثم نظرت إليه بامتنان فلا أذكر متى آخر مرة

ضحكت فيها من أعماقي ، ثم مددت له يا لمنديل قائله : ها هو ذا خده .

فأجاب بطريقه طفوليه : لا إنه مبلل بدموعك وأنا أريده جافاً تماماً ..

اكتفيت بالضحك ولم أسايره مزاحه ، فقال كما لو كان تذكر شيئاً : انتظري لحظه ، أريد أن أسالك سؤالا مهماً .

نظرت إليه بفضول ، فتساءل وهو يضيق عينيه ، وبلهجه ساخرة القى سؤاله : من قال لكِ بأن كونى مرحاً ، يحتم علي مصادقه المرحين فقط ، أهو قانون جديد في الصداقات ؟

لم أتمالك نفسي وعادت ضحكتي مرة أخرى وأنا أفهم ما يشير إليه ، فقلت في دفاع عن نفسي حتى لا يظن بي السذاجة : لم أقصد هذا ، أنا فقط أخشى أن تمل مصادقتي .

قال وغمازته تزين وجهه : بضحكتك الرائعة تلك ، لا أظن هذا.

علقت بشيء من الإحباط : بكائي أكثر .

ليجيب بحماسه : سأجعل العكس هو الصحيح .

زفرت بضيق : لا أظن ، فالأمر أصعب مما تتخيل .

ليرد بتحدٍ : أنتراهن ؟!

بتعجب سألته : على ماذا ؟!

- على أنني سأنجح في محو الحزن من داخلك إلي الأبد ، واستبداله بالضحك والابتسام .

- أتمنى هذا حقاً .

- وإن فعلته ، ماذا تقدمين لي ؟

- ماذا تريد ؟!

- صداقتك إلي الأبد .

- لا أظن بأنني سأمانع .

****

قطع حديثنا الثنائي صوت والده "مجاهد" وهو يخبره بأن موعد رحيلهم قد حان ، والتفت إلي والبسمة تزين محياه قائلاً : سررت للقائك بنيتي ، وأتمنى أن تسعدينا بزيارة منك إلي منزلنا .

هممت بالإجابة ولكن عاجلني نادر قائلاً : هذا شيء مفروغ منه يا أبي ، فأنا وندا اتفقنا على أن تأتي لتناول الغداء معنا غداً .

قالها وهى يغمز لي ، بينما نظرت إليه باستغراب ، فنحن لم نتفق على هذا ولكنني لزمت الصمت ، وتابعت والده وهو يعلق بسعادة ظاهرة : إذن سأكون بانتظارك بنيتي .

أومأت له برأسي دون أن ينطق لساني بحرف ، وعلامات الدهشة لم تكن قد فارقتني بعد ، وبعد أن تم الاتفاق دون أن أدري به على الذهاب إليهم في الغد ، رحلوا سويا والتفت إلي نادر وغمز لي ثانيه ، وهو يشير إلي بيده مودعاً بطريقه طفوليه مرحة ، فانبثقت ابتسامه على شفتي وبتلقائيه رفعت له يدي ملوحة ولوهلة شعرت بأننا الاثنان طفلان لم نتجاوز العاشرة ، راق لي هذا الشعور ، وحينها تمنيت من كل أعماقي لو أن بمقدوري أن

أعود طفلة ، ويتوقف بي الزمن فلا يتقدم بي العمر ، ولكن ليس كل ما يتمناه الإنسان مباح ، تنهدت بقوه وأنا أتابع نادر ووالده يختفيان في الظلام أمامي ، وحوطت نفسي بذراعيّ حين شعرت بلسعه برد طفيفة سرت بأوصالي ، فتوجهت عائدة إلي المنزل ، وأنا أفكر أما زال إيهاب بالخارج ؟ ولكن متى يعود ؟

أحسست بغصة قويه عصرت قلبي حين تذكرت أنه ليس وحيداً كي أقلق عليه ، فهو برفقة سارة تلك الشقراء لابد وأنهما يستمتعان بوقتهما معاً ، ولكن هل يتذكرني وهو بحضرتها ، ويتساءل عن أحوالي مثلما أفعل أنا ؟ أم أنه يتناساني برفقتها ؟؟

غاص قلبي بمكانه ما إن فكرت في هذا الأمر ، وعدلت عنه مزعنه لنفسي بأنه قد يكون كُلف بمهمه شاقه في عمله ، تتطلب منه العودة في أوقات متأخرة ، فراق لي هذا الخيار

وسكنت إليه وأنا أمنى نفسي بأنه لا يتحتم أن يكون معها كما أظن ، انتشلني صوت نجوى من هوس أفكاري وهى تدعوني للجلوس معهم حين رأتني أتوجه نحو السلم دون أن انتبه إليهم ، حدقت فيهم وهم يجلسون معاً في جو عائلي سرا دفئه في أرجاء

المنزل ، كان ينقصهم فقط وجود إيهاب ، وحينها فكرت لو أن والدي مازال على قيد الحياة ، وأنا وإيهاب مازلنا متحابان ، لكنا جميعنا نجلس معاً

نتسامر ونتبادل النكات سوياً ، ولكان قلبي سليماً من جروح آلامه التي ثخانته ، تنهدت بحزن وأنا أعود إلي واقعى ونظرت إليهم ملياً ، وبداخلي يشعر أنني لست منهم وليسوا منى ، إحساسي بأنني غريبه متطفلة على هذا المنزل بدأ يعلن عن نفسه بداخلي ، تنهدت بقوة وقلت بابتسامه على شفتاي ، وحزن يمكن بصدري : أريد أن أذهب لغرفتي أرتاح قليلاً .

رمقوني بابتسامة متفهمه ، وقالت نجوى بحنانها الذي لطالما لمسني : اذهبي حبيبتي .

تركتهم وتوجهت إلي غرفتي ، دخلتها كما لو كانت المرة الأولى ، نظرت حولي استكشفها بعين الفضول ، كانت واسعه ، زينت جدرانها بطلاء بلون السماء يبعث في النفس راحة ، رغم أنى لم أنه لهذا من قبل ، وفي منتصفها يكمن السرير الذي عاش معي الكثير من لحظات القهر والألم ، ولاحظت تلك الشرفة

التي تقابل باب الغرفة ، وكأنها وُجدت للتو ، توجهت نحوها ودلفت إليها لأملأ صدري يعبق هواء الليل الذي لا يسلم من البرودة المحمولة بين ثناياه ، سرعان ما تألمت قلمي محتجة ، فعدت إلى الغرفة ، وغيرت ملابسي على عجله لا أدري سببها ، وعلى الرغم من كونى نمت ما يكفى بالأمس ، بيد أنى حين اندسست في الفراش بنيه قليل من الراحة لا أكثر من ذاك ، ارتخى جسدي ، وثقل جفني ، وغاب عقلي ، وذهبت في سبات عميق ..

×××××××××××

فتحت عيناي بثقل حين هاجمتني أشعه الشمس الدخيلة ، فقد تسربت من الشرفة التي لم أغلقها بالأمس ، وما إن اعتدلت بمكاني ، أفرك عيناي طرداً لبقايا النوم التي مازالت عالقة بأهدابي ، سمعت طرقات خفيفة على الباب ، فسمحت للطارق بالدخول ، لتظهر بثينة من ورائه قائلة : صباح الخير سيدتي .

قلت وأنا أتثاءب : صباح الخير يا بثينة ، ولكن هل لكِ بمناداتي ملك ، فأنا لا أحب سيدتي تلك .

أومأت برأسها في طاعه ، قائلة : كما تريدين آنسه ملك ، لقد جئت لكِ بطلب من السيدة نجوى ، لأسألكِ إن كنتِ ستتناولين الإفطار معهم ، أم أحضره لكِ هنا في غرفتكِ .

نظرت إليها ملياً وسألتها : هل إيهاب بالأسفل ؟

لتجيب : نعم .

زاد خفقان قلبي ، وسألت ثانيه بتوجس : وهل ساره موجودة أيضاً ؟

أجابت : لا لم تأتِ اليوم .

ابتسمت في سعادة ، وانتظمت أنفاسي المتهدجة ، وأجبت بابتسامة أظنها أنارت وجهى : سأتناول معهم الطعام .

ما إن غادرت بثينة ، غادرت فراشي بنشاط مفاجئ ، وتوجهت إلي الحمام واستحممت على عجله ، ثم وقفت أمام الدولاب أفكر أي تلك الثياب سيحبني بها إيهاب ، ابتسمت سخرية من نفسي ، فإيهاب يحبني أنا ولا يحب ملابسي .

وبعد دقائق من التفكير ، استقريت على بنطالاً من الجينز ليكون مريحاً في الحركة ، وانتقيت بلوزة زرقاء ذات أكمام واسعه ، زينت على الصدر بقليل من الرسومات الصغيرة ذات ألوان متداخلة ، توجهت إلي المرآه وأنا أخشى النظر إلي ما آل إليه حالي ، مشطت شعرى ورفعته بدبوس كعادتي ، تمنيت لو أتركه لكن شيئاً ما منعني ، كنت أتحاشى النظر إلي صورتي المنعكسة بالمرآه ، ولكنى حين رفعت شعري ، رفعت نظري فرأيت شحوب وجهى لم يرحل بعد ، وشقوق شفتاي تطل بوضوح لتخرج ألسنتها لي في شماته ، تنهدت بضيق وأغلقت عيني بشده وكأنني أمحو صورتي منهما ..

بقلب متوجس ،وأنفاس متضاربة ، وخطوات مرتعشة هبطت درجات السلم ، لأجدهم يجتمعون معاً حول مائده الإفطار ، وكان بينهم يجلس بجوار عمى ، وضعت يدي على صدري أتوسله بأن يكن مكانه ، ويكف عن ضجيجه المزعج ، ماذا فعلت بي يا إيهاب لتنسحب أنفاسي منى بهذا الشكل حين أراك ؟!

اقتربت منهم بخطوات سلحفاء ، وبصوت هامس ألقيت التحية ، فرفعوا جميعاً أنظارهم نحوى يردوا التحية ، بينما شعرت نظرات إيهاب- التي كنت أتجاهلها - تخترقني ، جلست بجوار ندا التي ما انفكت تسأل عنى وعن صحتي وما آل إليها ، وأنا أجيبها بآليه كي أرضى لهفتها ، وبينما كان الجميع مستغرقاً في تناول الطعام ، رفعت عيني خلسه لأنظر إليه ، لأفاجئ به ينظر إلي بدوره ، هربت بعيني سريعاً إلي الطبق أمامي ، بعد أن شعرت بأن زلزالا عنيفاً دوى أسفل منى ، وتضرجت وجنتاي بنار الخجل ، شعرت بالدماء الساخنة تتدفق إليهما ، أكملت طعامي وعيناي مثبتتين في الطبق الماثل أمامي لا تبرحانه ، وتزداد دقات خافقي بجنون حين أسمع صوته المحبب إلي قلبي يتناهد إلى مسامعي بين الحين والآخر ، إلي أن انتهت وجبه الإفطار ، فتوجه إيهاب إلي عمله وحينها عاد إلي حزني ، حين رحل دون أن يودعني كما كانت عادته ، تتبعته ببصري ويكاد قلبي يهرب من بين ضلوعه ليذهب معه ، أبي عقلي إلا أن يزيدني غما حين أخذ يلح علىّ باستماتاته مذكراً إياي بطقوس إفطاري مع إيهاب ، فكنا حين يذهب أبي إلي عمله باكراً يتناول إفطاره في

شركته ، يأتي إلى غرفتي ويلح في طرقه على الباب إلي أن أستيقظ ، فأفتح له الباب وأنا أتثاءب ومازال النوم يسيطر على ملامحي ، لأقول في تبرم : هل كل يوم ستزعج منامي بتلك الطريقة ؟!

فيجيب بهدوء مستفز : نعم ، إلي حين أن تستيقظي بمفردك.

أفرك شعري وأعلق باستنكار شديد : ولكن ماذا ورائي لاستيقظ مبكراً هكذا ؟!

ليجيب بنفاذ صبر : أنتِ تعلمين جيداً أنني لا أستطيع تناول الإفطار بمفردي .

تستيقظ حواسي وتنفض عنها ما تعلق بها من آثار النوم ، لأعلق مشاكسه : تريد أن تقول أنك لا تستطيع تناول الإفطار إلا وأنا معك ، أليس كذلك ؟!

فينظر إلي بوجه مضحك ، وهو يحاول جاهداً إخفاء تلك الابتسامة ويجيب : نعم يا متعبه هو كذلك ، هيا استعدي لتناول الإفطار قبل أن أتأخر عن موعد ذهابي .



أفاقني صوت نادر الذي اخترق عقلي حين قال : فيمَ تفكرين ؟!

نظرت إليه بدهشه فقد نسيت أمر ذهابي إلي منزلهم اليوم ، ولم أكن أتوقع رؤيته أمامي ، فأكمل بمرح وقال : لمَ لا تشاركينني أفكارك ؟ فأنا فضولي إلى أبعد الحدود .

فقلت بابتسامه : لا شيء كنت شارده فحسب .

غمز لي وقال بابتسامة أظهرت غمارته : تشردين كثيراً .

ضحكت علي طريقته وهو يتحدث ، كان يمتلأ مرحاً وحماسه ينتقل إلي دون جهد منه أو منى ، كان طفولياً جداً في تصرفاته وحركاته ، رغم طول قامته الذي لم يقف حائلاً أمام ذلك ، فوجئت به يسحبني من يدي بغتته أمام أنظار نجوى وندا المندهشة ، وهو يقول لهم : لا تقلقوا فسأعيدها إليكم مساءاً .

كان يحث الخطى وأنا اتبعه ويدي مازالت عالقة بيده ، نظر إلي بعد أن توقف فجأة ، قائلاً بجدية : لمَ لا نتسابق إلي منزلنا ؟!



قالها وهو يشير بإصبعه إليه ، تعجبت من عرضه وزاد تعجبي حين رأيت علامات الجدية تظهر على محياه ، فتساءلت والتعجب ينهشني : ولكن لمَ ؟ نحن لسنا على عجلة من أمرنا ؟!

أجاب وهو يركض بمكانه : هذه رياضه سيدتي ، كونى عملية واستغلي عرضي ، فانتِ بحاجة إلي أن تصل الدماء إلي وجهك الذابل هذا .

وضعت يدي على وجهى وأنا أتذكر صورتي بالمرآه ، وشحوب وجهى واختفاء نضارتي ، فنظرت إليه وسألته : أمتأكد من كونك مهندساً زراعياً؟! .

أجاب وهو مازال يركض بمكانه : نعم ، ولكن لم ؟!

قلت وانا أضيق عيني قليلاً : ظننتك مدرباً رياضياً .

ضحكت ملئ شدقيه ، وكان تلك المرة الأولى التي أسمعه يضحك فيها بصوت ظاهر ، كانت ضحكتن تشبه شخصيته إلى حد كبير ، فكانت ذات نغمه مرحة تبعث في نفسك الحماس ، وتجبرك على مشاركته الضحك ، قال وهو يسير



بضهره للخلف فارداً ذراعيه : فلتعتبريني مدربك الخاص إذا ، ولنبدأ السباق ، فمن سيصل أولاً سيعاقب الآخر بأي شيء يريده ، اتفقنا ؟!

نظرت إليه بنظرات تائهة ، ثم ما لبثت أن أحببت عرضه فاقتربت منه وأنا أتظاهر بالتفكير ، وما إن أصبحت بجواره هتفت " موافقه " ثم انطلقت أركض بكل ما أوتيت من سرعه ، وهو خلفي يصيح بي مستنكراً : هذا ظلم لم نبدأ العد بعد.

فأضحك على صوته المتهدج من إثر الركض ، وفي لحظات أجده يعدو بجواري ويبتسم لي ابتسامه عريضة تحمل شماتة طفل أهداه والده لعبه أفضل من أخيه ، فقال بغل واضح : سأسامحك على غشك هذه المرة ، ولكنى لن أرحمك حين أفوز .

قال تهديده بجديه شديده ، وهو يضيق لي عيناه ويشير بسبابته متوعداً ، كما لو كنت عدوته فعلاً ، فما كان منى إلا أن انفجرت ضحكاً على منظره ، ولم أقوى على استئناف عدوى ، فوقفت قليلاً أكمل ضحكي و أسمح للهواء أن يعبأ رئتاي ، بينما

كان هو يكمل عدوه كما لو أن شيئاً لم يكن ، فصرخت فيه بأعلى صوتي : أنت يا هذا انتظر قليلاً .

فالتفت إلي وقال بعناد : لن أفعل ، تستحقين هذا أيتها الغشاشة .

ضحكت من أعماقي وانطلقت اركض مرة أخرى ، ولكنه كان قد سبقني بمسافه لا بأس بها ، فكان أول من وصل إلي المنزل .

ارتميت بجواره حيث كان يجلس على النجيلية أمام منزلهم ، ألهث بشدة إثر الركض ، فنظر إليّ بفرح وقال وهو يلهث : لم ينفعك غشك أيتها الغشاشة .

علقت بعناد طفولي مقلده إياها : ولكن أنت من جعلتني أضحك فلم أستطع أن أركض حينها .

هز كتفاه وقال : لا دخل لي بهذا ، ما يعنيني أنني هو الفائز

نظر إلي بشماتة وغمز لي بينما كان يعتدل في جلسته ليواجه وجهه وجهى ، ثم قال بنبرة تحمل الكثير من السعادة : وهذا يعنى أنني من سيطلب منكِ فعل شيء لأعاقبك .

عقدت يدي أمام صدري بترفع شديد ، قائلة : أخبرني ماذا تريد ؟

لمعت عيناه بسعادة مبالغة ، ثم دس يده بجيبه ليخرج بصورة قدمها لي ، كانت صورة لامرأة تبدو من زمن قديم ، ظهر ذلك من التصميم القديم لفستانها ، وقصة شعرها التي كانت منتشرة في زمن سابق ، كانت تجلس على كرسي واضعه قدماً فوق الأخرى ، وتنظر إلي عدسة الكاميرا بابتسامه مشرقه أشرق لها وجهها ، كما ظهر على إثرها غمازتين تزين كل واحدة منهما خداً ، قاطع تأملي المسترسل صوت نادر : إنها أمي ، أريد منك رسم لوحة لها .

نظرت إليه دفعه واحدة ، لأسأل بدهشه : كيف عرفت بأنى أجيد الرسم ؟!

نظر أمامه وبدا شارداً بينما كان يقول : أعلم عنكِ كل شيء تقريباً .

قطبت جبيني ، وسألته متوجسه : كيف ؟!



التفت إلي بابتسامه باهته ، بينما اختفت لمعه عينه ليوضح قائلاً : كنا أنا وإيهاب أكثر من أصدقاء ، فما كان ينفك بإخباري عنك .

-إذن أنت تعلم بأمر أنا وإيهاب ؟!

- نعم ، وأعلم جيداً ما آلت إليه الأمور بينكما .

انعقد لساني ولم ينبس بكلمه ، واضطرب عقلي

وهاجمته الأسئلة ،فكيف لم أفكر يوماً أن إيهاب ونادر قد يكونا صديقين ؟ فوالديهما صديقان ، هل إيهاب هو من طلب من نادر أن يصاحبني ؟ أيظن هكذا بأنه يخفف عنى ؟ إن كانا صديقين لم لم يخبرني إيهاب بأمره من قبل ؟ هل يعلم نادر إن كان إيهاب مازال يحبني أم لا ؟!

انتفض جسدي حين قبض نادر على يدي بشده ، فنظرت إليه بنظرات تائهة ، بينما قال بهدوء شديد مخالف لحماسته المعهودة : ولكنى لم أؤيده في قراره بالزواج من ساره ، وبسبب هذا توترت العلاقة بيننا .

رفعت بصري إليه وكثافة الدموع تزداد بعيني ، ونيران الغيرة تشتعل داخلي لتترك جوفي رماداً ، لأجد نفسي أجيب بغل لم أعهده : لن أدع هذا الزواج يتم ، حتى وإن تطلب منى الأمر قتلهما معاً .

تسمرت مكاني ، وانفرجت عيناي على آخرهما حتى كادا ينخلعان من محجرهما وأنا أراه يضحك بشدة ، اشتعلت نيران الغضب برأسي حتى شعرت بدمائي تفور غلياناً ، فنهضت من مكاني بعصبيه وعزمت على العودة ، ليستوقفني من ذراعي بينما وقف أمامي وهو يحاول كتم ضحكاته ، قائلاً : أرجوكِ لا تغضبي .

أزحت يده الممسكة بذراعي بحدة وصحت به : هل أخبرتك بمزحة لتضحك هكذا ؟

اعتدل في وقفته وقد عاد إليه هدوءه ، بينما قال بصوت رزين يخلو من مرحه مما زاد دهشتي لتقلباته العجيبة هذه : ما تقولينه هذا يعد أكبر مزحة قد أسمعها بحياتي .



هممت بالاعتراض ولكنه أوقفني بإشارة عازمه من يده ، ونظرة تحدي انبثقت من عيناه ، بدا كما لو كان شخصاً آخر غير ذلك الذي كان يتسابق معي للتو ، فواصل حديثه قائلاً : لا ينبغي لمثلك يا ملك أن يفكر بتلك الطريقة ، فلا يجب أن تشوهي نقاء قلبك وتعكيره بالحقد والغل .

صرخت بسرعه قبل أن يستوقفني : وهل يجب أن أبارك لزواجهما ؟!

- لا ، أنا لم أقل هذا ، ولكن أيضاً يجب ألا تحقري من مكانتك وتتنازلي عن كبريائك وتسعى لإفساد زفافهما .

لم أعقب بينما اكتفيت بالنظر إليه وكأنني استجديه ، وغشاوة الدموع تتكثف في عيني ، فأردف ناظراً إلى عيني مباشرة كما لو كان ينقل إلي القوه من خلالهما :

عليكِ ألا تفكري في شيء سوى نفسك ، يجب أن تنهضي من وحل أحزانك ، وتنفضي عنك ذلك الشجن العالق بأعماقك ، عليكِ أن تكوني أقوى من همومك ، تكوني امرأه محاربة

تقفى أمام الحب وجها لوجه ، وتجمعي عدتك وتتأهبي جيداً لتقتلي حب إيهاب في قلبك .

انهمرت دموعي ، وزادت مراره حلقى ، أجبت بصوت متقطع إثر غصة مؤلمه أصابت قلبي تكاد تمزقه : لن أقدر ..

صرخ قائلاً : بلا تقدرين .

زاد بكائي ليزيد من نيران صدري ، وعلقت من وراء دموعي : أتمنى حقاً لو أقدر .

- حتماً ستقدرين ، فأنتِ بالقوة الكافية لهذا .

تساءلت كمن يتعلق بقشة في عرض البحر : أتظن هذا ؟!

أجاب بحماسه : نعم أنا على يقين من هذا ، وأول شيء عليكِ فعله هو أن تعقدي العزم .

أومأت له برأسي مؤيده بينما كان قلبي يصرخ رافضاً ، وعقلي يوبخه بعنف كي يصمت

فأسترسل نادر وهو يشد على يدى باعثاً فيها شيء من القوه : وثاني شيء عليكِ فعله الآن هو أن تقومي بتجفيف دموعك ،

وتظهري أسنانك قليلاً ، ولا تخافي فلا يوجد هنا قوانين تمنع الابتسام .

مددت يدي أزيل آثار البكاء ، بينما مد هو يده ناحيتي فنظرت إليه متسائلة ، لأجده ينظر إلي بجديه :

أتعديني بأنك ستبذلين ما بوسعك لتعودي تلك الفتاه المرحة التي لم أقابلها بعد ؟

نظرت إلي يده الممتدة نحوى بخوف ، فما يطلبه منى ليس بهذه البساطة ، ولست على علم إن كنت سأقدر على تحقيقه أم لا !! قطع صمتي الذي طال قائلاً : أعلم أنه صعب ولكن يجب أن تكوني أقوى ، وتحاربي لتحقيقه ، وأنا سأكون أول المساعدين .

مازال نظري مثبت على يديه وانا أفكر بما قاله ، إنه محق تماما ، فيجب أن أنهى الحزن من حياتي ، وأرمم قلبي الذي هدمته أوجاع الحب ، فإلي متى العذاب ؟ إلي متى سأظل أسيرة الحب وأشجانه ؟ يجب أن أضع حداً لكل هذا

مددت يدي بينما قلت له بتحدي شديد : أعدك ، أعدك بأني سأحارب بكل ما أملك من أسلحة لأنزع إيهاب تماماً من كياني ، وسأعود تلك الفتاه المرحة التي تود مقابلتها .

تهللت أساريره ولمعت عيناه بفرح ، فصاح وقد عادت إليه حماسته : ألن ندخل ، أم أننا سنظل بالخارج كما لو أن هناك وحشاً بالداخل ؟

نظرت إليه بدهشه لتغيره مجرى الحديث ، ولكن سرعان ما انتبهت لكوننا مازلنا بخارج المنزل ولم ندخل بعد ، فأجبت ضاحكة : هيا فلندخل إذن .

****

ما هي إلا لحظات وكنا سوياً داخل منزلهم يسبقني بخطوتين ، و كنت منشغله بتطلع المكان حولي بفضول تام ، فقد كان منزلهم أكثر تواضعاً من بيت عمى ، ولكن يشاركه في كونه يتكون من طابقين ، وكان الطابق الأول ذو أثاث بسيط جداً



يتناثر حول درج ملتف في وسطه ، ذلك الدرج الذي جذبني نادر من يدي وصعدناه معاً ، بينما قال : لابد أن أبي في الأعلى فهو لم يذهب للعمل اليوم .

وما إن وصلنا الطابق العلوى حتى وقعت عيناي على صورة عملاقه تزين الحائط المواجه للدرج ، وقد تعرفت عليها في حال رأيتها إذ كانت لوالده نادر ، وتذكرت الصورة التي طلب منى رسمها وانتبهت لأنها كانت ماتزال بين أصابعي ، دسستها بجيبي بينما كنت أتساءل أنى لي برسمها وأنا لا أملك من أدوات الرسم شيئاً ، نفضت الأسئلة عن رأسي وقد عزمت على أن أفكر بهذا الشأن لاحقاً ، وأخذت أتابع نادر بعيني وهو يتوجه إلى الغرفة التي تقع على يمين الصورة ، وما إن طرق الباب طرقات خفيفة أتي له صوت والده سامحاً لنا بالدخول ، التفت إلىّ مشجعاً للدخول معه بهزة من رأسه ، ثم أمسك بيدي ودخل بي يسحبني خلفه كما لو كنت طفلة صغيرة يذهب بها إلى المدرسة في أول يوم ، قام والده من وراء مكتبه العملاق الذي يقع مقابل الباب ، تقدم نحونا ببشر وسرور شديدان حتى بدا لي أنه قد بالغ في سعادته ،

بيد أن ابتسامته مازالت تبعث في النفس راحة لرؤيته ، وبحرارة شديدة أخذ يرحب بي ، وبكلمات منتشيه أظهر لي فرحه بزيارتي لمنزلهم المتواضع ، أجبت على ترحابه الشديد بكلمات قليله مغلفه بابتسامة صغيرة خجولة ، حتى شعرت بكوني فظه معه ولكن شكوكي زالت ما إن رأيت ابتسامته تتسع ، أستأذنه نادر بأن نحظى ببعض الوقت معاً إلى أن يحين موعد الغذاء ، ارتفع حاجبي دهشه و أنا أكتم شهقة بصدري حين رأيته يجيب عليه بغمزة -وقد أدركت حينها أن هذه العادة صفة جينيه تورث في هذه العائلة - قائلاً :

استمتعا بوقتكما .

كتمت بصدري ضحكة أرادت الخروج حين رأيت نادر يجيب عليه بغمزة مماثلة ، وكأنها لغة تواصل جديدة اخترعت خصيصاً لهما ، تجاوز نادر الغرفة الثانية المجاورة لغرفة والده إلى تلك القابعة في آخر الطابق ، قال وهو يفتحها بلهفة وسعادة : هذه الغرفة من صنعي .

بدا متحمساً للغاية كما لو كان سيريني كنزاً ثميناً مما أثار فضولي لرؤيتها ، سبقني إلي الداخل وتبعته بخطوات متلهفة والفضول يكاد ينهشني ، التفت إليه بغضب وقلت بحدة : لم لا تفتح النور ، أتلعب معي ؟

أجاب ضاحكاً وكأنما راق له فضولي المتقد : أود أن أجعل لها ظهوراً خاص .

ضغط بإصبعه على زر الإنارة وأشار بيده إلى الغرفة بطريقة مسرحية ، فتتبعت بنظري ما يشير إليه بيده ، و ببطيء شديد رحت أتجول بعيني في أرجاء الغرفة ، ولوهلة شعرت بنفسي أقف بمتحف للموسيقى أو ما شابه ، حيث كانت تعج بالكثير من الأدوات الموسيقية التي أبهرت عيني وأسرت بداخلي إعجاب شديد على الرغم من جهلي بأكثرها ، ولكنها بشكل أو بآخر أثارت بداخلي شعور بالبهجة وكأني طفلة تقف أمام عالم غريب عنها يمتلئ بالجديد من الألعاب ، توجهت بالسؤال إلي نادر الذي كان يحدق بي لا يريد أن يفوت ردة فعلى : هل تستطيع العزف على كل هذه الآلات ؟!

ألقيت سؤالي وما زالت عيناي مثبتتان على ذلك البيانو الضخم الذي يقف بهيبة شديدة أسفل النافذة المقابلة للباب ، وكأنه ملك كل هذه الآلات يتربع على عرش مملكته ، يزيده لونه الأسود تأنقاً وجاذبيه أسرت لها عيني ، وأجاب نادر بينما يجوب الغرفة بفخر أب ينظر إلي أبنائه بعد أن بذل الغالي والنفيث في تربيتهم : بالطبع ، وإلا لمَ أمتلكهم ؟!

علقت وأنا أتفحص مزماراً وضع على منضدة صغيرة على يسار الباب : هذا شيء رائع حقاً .

تفاجأت به خلفي مباشرة و أخذ المزمار من يدي متطلعاً إليه بعين المشتاق كما لو أنه لم يره منذ سنين ، قال ومازالت عيناه تتأمل المزمار بحب : أعشق الموسيقى فهي الشيء الوحيد الذي يبعث في نفسي السعادة بدون أدنى جهد مني ، الموسيقى ترسلك إلى عالم آخر بعيد عن نفاق البشر.

قطعت استرساله متسائلة : حين تستمع إليها أم حين تعزفها؟

بدون تفكير أجاب : الاثنان عندي سيان . التفت إلىّ ببريق يتقد من عينيه وقال بحماس : ما رأيكِ بأن أعلمكِ العزف على إحدى هذه الآلات ؟

وبتلقائيه تعجبت لها وجدت نفسي أرفع يدي كالمسحورة أشير بها نحو البيانو : سيكون رائعاً لو تعلمت العزف على البيانو .

لم أنتظر رده بل توجهت إلي تلك الآلة الرائعة التي استطاعت أن تلفت انتباهي وتركيزي كاملاً إليها وكأن الغرفة تخلو إلا منها ، أخذت أتحسس بيدي أصابعه البيضاء والسوداء وكأنني أحاول فك شفرته وتعلم العزف بمفردي دون الحاجة إلي أحد ، أتاني صوت نادر وقد جعله قاسيا وهو يقول : فلتستعدي إذا يا تلميذتي الأولى فأنا جدىّ ولا أحبذ الكُسالى .

التفت إليه بتحدي وقلت باعتداد : لن تجد من هي في نشاطي وسرعة بديهتي ، متى سنبدأ فأنا لا أحبذ تضييع الوقت ؟

دس يده في جيبه ، وقال وغمازته تلوح على خده : حين تنتهين أولاً من رسم لوحة لوالدتي .

تذكرت أمر الصورة وبتلقائيه وجدت نفسي أتحسس موضعها بجيبي وكأنى أطمئن لأمر وجودها ، فقلت بصوت مضطرب : ولكنى لا أملك من أدوات الرسم شيئاً .

اتسعت ابتسامته وغاصت غمازته أكثر في مكانها :

لا بأس سنذهب سوياً لشرائها ، وفى حقيقه الأمر هذا ما كنت أطمح إليه .

قال جملته الأخيرة غامزاً ، مما دفعني للضحك على روحه الطفولية التي تضح جلياً في طريقة حديثه ، ثم قلت متسائلة : لم تخبرني بعد ما اسم والدتك ؟!

تنهدت تنهيدة عميقة ، وثبت نظره على نقطه وهمية أمامه وفي عينيه طيف دمعه تتراقص بهما ، بدا وكأنه يراها أمامه حين لاحت ابتسامه خفيفة على شفتيه وهو يقول :

فريدة ، اسمها فريدة وكانت حقاً كذلك .

****

أسدل الليل أستاره بعد أن انقضي النهار سريعاً ، فعلى خلاف الوقت بمنزل عمى كان الوقت هنا على عجلة من أمره ، تناولت مع نادر و والده وجبتي الغداء والعشاء ، وكان لوجبة العشاء عندهم طقوس خاصة ، فقد كانا -وفق ما أخبرني به نادر - يتناولانها دائما في الحديقة الخلفية لمنزلهم حيث يوجد منضدة متوسطة الحجم محاطة بكراسي خشبيه مصنوعه من عسف النخل ، وقد خمنت أن السبب الذي يدفعهم لهذا هو وجود الهواء المنعش الذي يلعب دوراً هاما في إضافة لمسه خاصه للطعام ، إذ لاحظت أن شهيتي قد تضاعفت ثلاث أضعاف ما كانت عليه ، وتبين لي أن نادر قد ورث حماسته وروحه الطفولية المفعمة بالحب والحياة من والده ، فما كان يجلسان معاً إلا وامتلأت الأرجاء بصدى ضحكاتهما ، وساد الهرج والمرج لا تكاد تميز بينهما من هو الأب ومن الابن ، تملكني شعور قوى بأنى قد وجدت عائلة أخرى لي أنجبتها الظروف والأيام ، لذا هاجمني الحزن مع قدوم الليل فلو كان باستطاعتي لبقيت مع هذان الرجلان المشعان بالحياة .

بخطوات وئيدة مترددة خطونا أنا ونادر عائدين إلى منزل عمى ، كان الليل يلحن عزفه الصامت على مسامعنا فلم يسعى إحدانا إلي إزعاجه ، ما أن وصلنا إلي حيث المنزل توجه لي نادر بالحديث : سأكون مشغولاً في عملي طوال هذا الأسبوع ، لذا سنقوم بتأجيل شراء أدوات الرسم للأسبوع المقبل .

أومأت رأسي بأسى ، فكيف سأظل أسبوعاً بأكمله بعيدة عنه ، في ملل هذه الأيام الرتيبة ، في هذا المنزل المثير للذكريات والمهيج للأحزان ، وحينها أدركت نعمة وجوده بجواري ، إذ يدب فيّ القوة التي أحتاجها لأحارب بها أشجاني ، قطع شرودي بسؤاله : أمعكِ هاتف أتواصل بكِ من خلاله ؟

حركت رأسي نافيه وأجبت بحزن : لقد ضاع مني بالإسكندرية ولم أعره أدنى اهتمام ، فلم يعد يوجد من يتواصل معي .

أظنه لمس نبرة الحزن بصوتي ، فدنا منى ممسكاً يدى وضغط عليها برفق ، ولم يزح عينه عن عيناي وكأنه يود لو يبعث فيّ القوة من خلالهما ، قال : لا عليكِ سأجد طريقة أتواصل بها معكِ .



أومأت بابتسامه فاترة بينما لم تعلق شفتاي ، ثم واصل حديثه قائلا : هيا ادخلي الآن وكونى قويه دائماً .

أومأت برأسي ثانية ، ومازالت الابتسامة الفاترة مرسومه على شفتي ، أدرت له ظهري وبخطوات ثقيلة توجهت نحو الباب وما إن أصبحت على بعد خطوه منه ، أتاني صوت نادر

من خلفي صائحا :"ملك "

التفت إليه متسائلة ، فوجدت يبتسم لي ابتسامة عريضة أتاحت لي رؤية غمازته من موضعي ، أشار نحو فمه قائلاً بحماس : ابتسمي ، فلا يوجد هنا ضريبه للابتسام .

****

دلفت منزل عمى بقلب غير الذي خرجت به ، وابتسامة واسعه لازمتني ورفضت الرحيل ، وجدت عمى بصحبة ندا يجلسون معاً في الصالون ، وما إن ألقيت التحية حتى اندفعت ندا نحوى تعانقني بشدة ، وكأنها لم ترنى منذ قرون ، أبعدتني عنها قائله

: لقد تأخرتِ كثيراً ، ولكن يمكنني التخمين بأن اليوم كان ممتعاً لكِ ، فقد أشرقت ابتسامه وجهك .

أومأت برأسي مؤيدة واتسعت ابتسامتي : نعم ، لقد استمتعت كثيراً .

أتى صوت عمى من خلفها قائلاً بوقار مشابه لوقار أبي : سعيد من أجلكِ حبيبتي ، أتمنى أن تظل الابتسامة دائمة على وجهكِ .

أجبت بخجل وداخلي ينتشي فرحاً ، حين لاحظت أن هذه أول مرة ابتسم فيها أمامهم ، وبصدق علقت : شكراً لك عمى

ثم نظرت إلي ندا التي كانت تتأملي مبتسمه وكأنها أم تنظر لابنتها في ثوب زفافها ، سألتها عن والدتها فأخبرتني بأنها تخلد للنوم مبكراً ، ثم تركتهما بعد أن استأذنت بالذهاب إلي غرفتي لأنال قسطاً من الراحة ، وبينما كنت على وشك الدخول إلى الغرفة ، حتى انسحبت أنفاسي عندما وحدت من يجذبني بحدة من ذراعي ، فالتفت بذعر لأجد إيهاب يقف أمامي وقد اقفهر وجهه بطريقة مخيفه أثارت الرعب بداخلي ، هرب منى صوتي فلم تستطع شفتاي بأن تنبس بينت شفة ، زادت

قبضته على ذراعي بطريقه آلمتني وقال من بين أسنانه المطبقة : " أين كنتِ طوال اليوم "

استبد بي الحنق وطغى على خوفي ، على الرغم من مظهره الذي بدا مخيفاً لأبعد الحدود ، فقد صُبغ وجهه باللون الأحمر الدموي لشدة غضبه ، وكانت نظرات الشرر تطاير من عينيه لتلحفني بشراسة ، فأزحت ذراعي من قبضته وصرخت به : ما شأنك أنت ؟!

أجاب وهو يضغط بشدة على أسنانه وقد زاد غضبة : أنا المسئول عنكِ هنا ، وأطلب منكِ ألا تخرجي مع نادر هذا مرة أخرى .

أعتمر الغضب بداخلي ، وشعور بالسخط يكاد يهشم فؤادي ، إلا أن مكاناً ما بداخلي في أقصى ركن كان جزلاً سعيداً يكاد يقفز فرحاً ، فقد أصبحت على يقين أن السبب وراء غضبه الهادر هذا هو غيرته ، أجبت بنبرة غاضبة تحمل من العند الكثير : أنت لست مسئولاً عنى كما تزعم ، فالوحيد المسئول عنى هو عمى بعد وفاة والدى ، أما نادر فأنا وحدي من أقرر الخروج معه أم لا .

دخلت سريعاً كالممسوسة إلى الغرفة دون أن أنتظر رده ، وبعقل مشتت وقلب مضطرب صفعت الباب خلفي ، ولكن سرعان ما ارتسمت ابتسامة نصر على شفتي ، وكان قلبي يدق بجنون وعقلي يرقص جزلاً لغيرته .

لا أعلم متى وقعت في النوم ، حيث فجأة أقلق نومى أشعه الشمس التي اقتحمت غرفتي عنوة لتنبهني بقدوم يوم جديد ، اعتدلت في فراشي أتحسس رقبتي التي تؤلمني بشدة ، وقعت أنظاري على ملابسي التي لم أبدلها بالأمس فتوجهت نحو الدولاب بخطوات بطيئة متثاقله والتقط ملابس أخرى لأرتديها ، وكعادتي انتقيت بنطالاً من الجينز وفوقه بلوزة بيضاء ذات أكمام واسعه لا يخالطها أي لون آخر ، وبداخلي يزعم ببداية صفحة جديدة لحياتي ناصعه البياض تخلو من السواد الذي يخلفه الحزن ، وبخفه ارتديت ملابسي ووقفت أمام المرآه أمشط شعرى وأرفعه و أنا أتأمل ملامحي وقد اعترتني دهشة عارمه حين اختفى السواد الذي كان يقيم أسفل عيني ، وعادت الحياة مجدداً إلى شفتي ، واختفى شحوب وجهى وعادت حمرة الدماء مرة أخرى إلى وجنتاي

، تملكتني الدهشة وأنا أتساءل عن سبب عودة الحياة إلى وجهي ، أيعقل أن يكون بسبب يوم واحد قضيته بصحبه نادر بعيداً عن الأحزان الكامنة بصدري ؟ أم بسبب أنني وبدون قصد قد أثرت غيرة إيهاب ؟ أم أن السبب لا هذا ولا ذاك وإنما بسبب ما تناولته يوم أمس من طعام ؟

ألقيت على المرآة نظره رضا ، ثم هممت بالخروج وما إن فتحت الباب حتى وجدت ندا ترمقني بابتسامة مشرقه قائلة : صباح الخير .

بابتسامه أجبت : صباح الخير

-جئت إليك لنذهب سوياً لتناول الإفطار

- هيا بنا فأنا مستعدة

هبطنا سوياً وشعرت بأن كل شيء حولي قد عادت إليه الحياة ، وكانت جميع الأوجه حولي على مائدة الطعام تنظر إليّ مبتسمه ، وقد لاحظت اختفاء إيهاب وخمنت بأنه قد ذهب إلى عمله مبكراً ، وعلى غير العادة تبادلت معهم الحديث بروح

مختلفة ممتلئة بالحماس ، إلى أن انطفأ حماسي دفعه واحدة حين رأيت إيهاب يخرج من حجرة مكتبه وتلك الشقراء اللعينة تتأبط ذراعه ، اعتصر قلبي في مكانه وازدردت ريقي بصعوبة ومراره حلقى تزداد وتتفاقم ، حينها أدركت أن تلك السعادة كانت ظاهرية ومؤقته ، و أن الحزن مازال يتربع بداخلي ولم يرحل بعد ، تابعتهما بنظرات منكسرة وهما يتوجهان نحو المائدة .

بنفاذ صبر بذلت جهداً كي أتمالك نفسي وأنا أرد لتلك الشقراء تحيتها ، ومنعت نفسي قسراً من صفعها صفعة مدوية تنزف لها دماء وجهها ، رمقت إيهاب بانكسار لأجده ينظر إليّ بتشفي وفهمت فوراً من نظراته ما يفكر به ، إذ لطالما فلحت في قراءته فقد كان ومازال بالنسبة لي كتاب مفتوح أمتلك كل شفراته ، زادت غصة حلقى وثقلت أنفاسي حين أدركت أنه يتعمد فعل هذا بي ، يثير غيرتي وكأنما ينتقم لما حلّ به في الأمس ، كاد عقلي يجن من فرط التفكير فإن كان يدرى بأنى أحبه حد الغيرة فلم يعذبني بإرادته ؟ لم يشعل وجع صدري مرة



أخرى بعد أن أخمدته قهراً ؟ أيتلذذ بعذابي أم ماذا ؟ ألهذه الدرجة لا يبالي بما يجيش في صدري من مشاعر ؟ أم أنه لا يبالي لأمرى من الأساس ؟

"صباح الخير " ألتفت كالملسوعة إلى مصدر الصوت إذ كانت نبرته الملتفة بالحماس والمرح مألوفة إلي سمعي ، بيد أنى لم أكن لأتوقع أن أرى نادر ، مما أثار دهشتي حين أبصرته يقف أمام المائدة ونظره مصوب نحوى وتزين محياه ابتسامة عذبة أبعثت في نفسي بطريقة أو بأخرى شيئاً من الراحة ، فانبثقت على شفتي ابتسامه خفيفة حال دون اتساعها ما يموج بصدري من أحزان .

دعاه عمى لتناول الإفطار معنا لكنه رفض متعللا بأنه على عجلة من أمره ، ثم أشار نحوى قائلاً : أريد فقط التحدث معها لعشر دقائق .

وتحت نظراتي المتسائلة أومأ له عمى بالموافقة ، ثم قمت من مكاني يدفعني الفضول دفعاً لمعرفة ما الذي أتى بنادر اليوم ، وبخاصة وقد أخبرني بأنه منشغل خلال هذا الأسبوع ، رميت



إيهاب بنظرة سريعة وأنا أجلس مع نادر في الصالون المقابل لهم ، وبالرغم من أن نظره كان معلقاً في الصحن أمامه ، ومن بروده الظاهري إلا أنه لم يفلح في أن يخفى عنه غضبه المكتوم بداخله ، وبرضا وجدت نفسي أشكر نادر بداخلي إذ جاء ليأثر لي ، بدأ نادر الحديث قائلا بغمزة من عينه : تبدين رائعة اليوم .

ابتسمت رداً لمجاملته ولم أعلق ، ولكنه أكمل بينما كان يدس يده بشعرى وأزال الدبوس الذي أرفعه به : ولكن هكذا تبدين أكثر جمالاً .

نظرت إليه مأخوذة فقد فاجأني ما أقدم عليه ، ولكن سرعان ما وجدت نظراتي تتابع إيهاب كالمسحورة ، لتقفز ابتسامة واسعه على شفتي ويعزف الفرح بداخلي موسيقاه حين لمحته ينظر اتجاهنا بملامح مكفهرة ينهشها الغضب .

مد إلي نادر بحقيبة صغيرة كانت بحوزته لم أنتبه لها قبلاً : هذه لكِ .



التقط منه الحقيبة فأكمل حين وجد منى نظرات متسائلة أفضحت ما يعتمر بداخلي من فضول : هذه هدية بسيطة أتمنى أن تنل إعجابك .

بلغ منى الفضول أقصاه حين سألت : ما نوعها ؟

ما أن ألقيت سؤالي حتى وجدته يقفز من مكانه و كأنما قد لدغته حية قائلا وهو ينظر إلى ساعة يده : لقد تأخرت كثيراً يجب أن أذهب .

لم ينتظر منى رداً وإنما خرج مهرولاً ، بينما أخذت أقلب الحقيبة بين يدي بشيء من الفضول ممزوجاً بالشغف ، هممت بفتحها ولكنى تراجعت عن ذلك ، حين أبصرت إيهاب منهمكاً في الحديث مع والده ولم يلحظ ما أهداني إياه نادر ، توجهت حيث يجلسون واستأذنت منهم أن أصعد إلى غرفتي بعدما تحقق ما كنت أرمى إليه ، إذ أردت أن أجعل إيهاب يشتاط غضباً حين يرى أن نادر قد حضر فقط ليجلب لي شيئاً ما ، وأظن بأن هذا ما حدث حيث لمحت بعينيه نظرة فضول مغلفة بالسخط .

ما هي إلا دقيقتان وكنت أجلس على فراشي أخرج ما بداخل الحقيبة ، فوجدتها علبة متوسطة الحجم تم تزينها بغلاف وردي اللون ، وبشغف شديد أخذت في نزع هذا الغلاف والأسئلة تتفاقم في رأسي عن ماهية هذه الهدية ، توقفت أنفاسي لثواني ، وفغرت فاهي بغير تصديق حين ظهرت أمامي علبة لهاتف محمول ، وبانبهار ممزوج بالجزل أخذت أتفحص الهاتف بين يدى ، وأتأمله بفرحة عارمة كطفل صغير أحضر له والدة قطعه الحلوى التي لفتت نظره بعد كثير من الإلحاح ، وفجأة جفلت وكاد يسقط الهاتف من يدي حين صدرت منه نغمه عالية ، نظرت إليه لأجد شاشته مزينه باسم " نادر مجاهد " معلنه لي رغبته في التواصل معي ، ضغط بسرعه على زر الإجابة وكأنما أخشى أن يغير رأيه ، وما إن وضعت الهاتف على أذني حتى أطربني صوته المفعم بالحماس : أتمنى أن تكون هديتي قد نالت إعجابك .

وكأن حماسه قد تسلل إلي عبر الهاتف ، أجبته بفرح قائلة : أعجبتني إلى أبعد درجة ، شكراً لك .

أجاب مازحاً : لا تخدعيني يا عزيزتي فأنا لست أحمقاً ، يتوجب عليك شكري بطريقة مميزة .

علقت ضاحكة : اطلب ما تشاء .

أجاب بسرعة وكأنه قد أعد طلبه مسبقاً : عليكِ بقبول دعوتي للعشاء يوماً ما .

- ظننتك ستطلب شيئاً أكثر صعوبة .

- سأرأف بحالك هذه المرة فقط ،ولكن مازال عليكِ إعادة المنديل الورقي الذي سبق وأن أعطيتكِ إياه .

تعالت ضحكاتي إذ لم استطع منع نفسي من الضحك ، وشاركني ضحكي ثم قال بنبرة أكثر جدية : سأغلق الآن لأكمل عملي وسأهاتفكِ ليلاً .

- حسناً

فقال بسرعه كأنما تذكر شيئاً هاماً : لا تتخلى عن الابتسام .

أجبت وابتسامة واسعه تغزو وجهي : لا تقلق .

أنهيت معه المكالمة وأنا أتساءل كيف لهذا الرجل أن يرسم البسمة على شفتي بتلك السهولة .

****

انقضت ثلاث أيام على نفس الشاكلة من الرتابة ، لم ينقذني منها سوى مكالمات نادر لي بالإضافة إلى تلك الأوقات التي كنت أقضيها بصحبه ندا ، كنت أبذل ما بوسعي لأتجنب التواجد مع إيهاب بنفس المكان ، وكنت في وجبتي الإفطار والعشاء أتزرع الحجج لأبقى في حجرتي ، إلى أن جاء اليوم الرابع طلبت منى ندا مرافقتها في شراء بعض الملابس ، في بداية الأمر كنت أشعر بالنفور وعدم الرغبة في الذهاب لأى مكان ، ولكن سرعان ما تغير رأيي حين طرأت برأسي فكرة راقت لي ، إذ عزمت على شراء بعضاً من أدوات الرسم حين أذهب معها ، حيث رغبت في الانتهاء من رسم لوحة لفريدة وأجعلها مفاجأة أهديها لنادر ، علي أستطيع شكره على قليل مما يفعله معي .

ابتاعت ندا الكثير من الملابس بعدما جبنا الآلاف من المحلات إذ كان أمر إرضاء ذوقها صعب المنال ، وحين ألحت على بالشراء

رفضت متعللة أن بحوزتي من الملابس ما يكفيني بالإضافة إلى أن مزاجي لا يسمح بهذا الآن ، ثم سألتها إن كانت تعرف محلاً لبيع أدوات للرسم ، أجابت بحماس بدد ما تشعر به من إرهاق : أتودين الرسم ؟!

أجبت بفرحة وأنا أحاول جلب ملامح نادر المنتشية حين يفاجأ باللوحة : نعم .

سحبتني من يدى بفرحة عارمه وأخدنا نغذ الخطى ، في حين ظلت تدمدم بكلمات التشجيع فقد راق لها أنى سأعود إلي هواياتي ثانيه ، إلى أن وصلنا لمحل كبير يتألف من طابقين ، كان يموج بشتى الأنواع من الألوان ، وكافة الأحجام من الألواح ، أخذت أجوب بينها مبهورة الأنفاس وكانت الألوان تبهرني كأعمى عاد إليه بصره ، وبعدما اشتريت ما أنا بحاجة إليه خرجنا سوياً محملين بالحقائب ، ندا تحمل ما ابتاعته من ملابس ، وأنا أقبض على أدواتي بين يدي بسعادة عارمة كأم تحمل مولودها بين ذراعيها ..

دلفت بحماسة إلى حجرتي ، وضعت الأدوات التي كانت بين ذراعي بعناية فوق الفراش ، وبخفة خلعت فردتي حذائي لأسمح لقدمي بالتنفس بعد يوم شاق ظلتا حبيستين داخله بعيداً عن الأكسجين ، بدلت ملابسي ببجامة مريحة من الحرير ، وبالرغم من الألم الفتاك الذي كان يتربص بكل ذرة بجسدي ، ورغبة جسدي العارمة بأخذ القليل من الراحة ، وعيناي التي كانتا تتوسلان إليّ كي أتركهما يغلقان بسلام ، إلا أن حماسي المفرط لانتهى من اللوحة في يومين اثنين قبل انتهاء الأسبوع وقف حائلاً دون نومى ، وبخفة خبير جهزت كل ما أنا بحاجة إليه ، ثبت اللوحة وجهزت الألوان والأقلام بجانبي ، وضعت صوره فريدة أمام ناظري ، أصبح كل شيء جاهز ، فلنبدأ إذاً .

وجدت نفسي أمارس هوايتي المحببة إلى قلبي ثانيه ، وانتشي عقلي في عالم الألوان الذي كان ومازال عالماً عجيباً مليئاً بالغرائب والمفاجآت بالنسبة لي ، يدي تتحرك بخفه وكأنما خرجت عن إرادتي لتتحرك بفردها وانطلقت ترسم العينين ،

بينما كان عقلي يسبح في عالم آخر ، عالم من الماضي فلا ولن يعد .

" ماذا تفعلين ؟! " التفت إليه فوجدته يقترب من اللوحة أمامي ويدقق في معالمها التي لم تظهر بعد ، أجبته باستنكار قائلة : ماذا بك يا إيهاب ، ألا ترى بأني أقدم على رسم لوحة جديد ؟؟

تقدم مني خطوتين ثم طبع قبلة على جبيني ضخت الدماء بوجنتي ، وقال : أعرف ، ولكن لمَ دائماً ما تشردين حين تشرعين في الرسم ؟

التفت إلى اللوحة أمامي وأكملت عملي بها قائلة : صدقني لا أعلم .

جذب كرسي ثم جلس بجواري وهو يسأل بمكر : إذا أخبرني فيم كنتِ تفكرين ؟

ابتسمت حين أدركت ما يرمى إليه ، أجبت بخبث وأنا أنظر إليه بطرف عيني : أفكر في أشياء كثيرة ، منها مثلاً ما أنوى رسمه الآن .

قطب جبينه ورد بخيبة أمل : كنت أنتظر رداً آخر .

ضحكت ملئ شدقي وأنا أراه يتطلع إلى اللوحة ببلاهته يحاول تخمين ما ستصير إليه : لم لا تسألني إذا ما أنوى رسمه ؟

مط شفتيه قائلاً : ولمَ أهتم ؟!

بنفاذ صبر أجبت : كي تعرف ما أفكر به .

أشار برأسه إلى اللوحة قائلاً : يبدو أنك ترسمين شخصين يجلسان سوياً ، ولكن لم تظهر ملامحهم بعد .

التفت إلىّ بابتسامة نصر ، كمن أحرز هدفاً : ألست محقاً ؟!

بابتسامه أجبته : بلي أنت محق ، ولكن يجب أن تعلم بأن هذين الشخصين هم أنا وأنت .

تهللت أساريره وقال بغبطة : إذن أنتِ تفكرين بي ، لمِ لا تقولي من البداية أيتها المراوغة ؟!

أجبت وأنا أعود إلي الرسم : لا أظن أن المسلمات ينطق بها.

توقف سيل ذكرياتي وعدت إلى عالمي شعرت برضا حين وجدتني قد انتهيت من الوجه تماماً ، زفرت بتعب بعدما تفاقم الألم بجسدي ، قمت بتثاقل لألقى بجسدي على الفراش وشهقت بفزع حين لمحت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بالكثير .

****

في اليوم التالي قبيل الظهر ايقظني صوت طرقات على الباب ، سمحت للطارق بالدخول وكانت بثينة تحضر لي الطعام كعادتها في الأيام الماضية لا لشيء سوى تجنبي لرؤية إيهاب ، رغم محاولات نادر الكثيرة بإقناعي أن أتعايش مع الأمر وأسمح لنفسي برؤيته كي أعتاد الوضع غير أنى لم أمتلك من القوة ما يكفي لأعرض قلبي للوجع في كل مرة أراه فيها ، تابعت بثينة وهى تضع الطعام ثم تنسحب بخفه كما لم تكن ، وبعد العديد من المفاوضات مع الكسل قرر أخيراً أن يتركني ويرحل ، فنهضت من مكاني متوجهه للحمام و اكتفيت بغسل وجهى أزيل عنه ما علق به من آثار النوم ، جلست أتناول الطعام بنهم وأنا أراقب اللوحة وقد راق لي ما أنجزته في ليله واحدة ، أما

اليوم فيجب أن أنهى جسدها وغداً أنتهى من صبغها بألوان زاهيه لتدب فيها الحياة ، كم أتوق لرؤية نادر حين يراها ! لابد وأنه سيسعد كثيراً . إن مجرد التفكير في كونى قد أفعل ما يدخل السرور إلى قلبه ولو لمرة ، يجعل حماسي يتزايد وتتفاقم رغبتي في إنهائها اليوم قبل الغد .

انتشلني رنين الهاتف من ضجيج أفكاري ، فازدردت اللقمة التي كانت في فمي بسرعه قبل أن ألكها جيداً ، وقفزت إلى حيث الهاتف الملقى على الكمود بجوار السرير ، وأجبت دون أن أنظر إلى المتصل حيث لم يكن هنالك غيره : كنت أفكر بك .

بدهشه سألني : حقاً ، ولكن فيمَ ؟

أجبت وأنا أحدق في اللوحة أمامي : أعد لك مفاجأة .

تغيرت نبرة صوته من الدهشة إلى السعادة قائلاً : ما هي ؟

أجبت : بالطبع لن أخبرك فهي ..

قاطعني بحده مكملا كلامي : فهي مفاجأة وإن أخبرتك بأمرها لن تظل هكذا ، نعم نعم أدرك هذا جيداً ، حسناً أخبريني متى سأراها ؟

بسرعه أجبته : بعد غد حين سنخرج نخرج للعشاء سوياً أنسيت ؟

ضحك ضحكة تنتشي بالحياة مما تبعث دائماً في نفسي البهجة ، ليقول : ولم بعد غد إن أردتي يمكنني المجيء إليك غداً قبل أن أذهب إلى العمل .

حركت رأسي نافيه وغاب عني لوهله أنه لا يراني عبر سماعه الهاتف ، ثم أجبت بسرعه حين انتهيت : لن أكون قد أنهيتها بعد .

تنهدت تنهيدة خفيفة قائلاً : لو كان بمقدوري لكنت تركت العمل يذهب إلى الجحيم ، وقضينا سوياً أوقات رائعة بعيداً عن روتين الحياة الممل هذا .



ضحكت بشده حين تيقنت بأنه قال جملته هذه مصحوبه بغمزة ، ثم علقت : لا أظن أن شخصاً مثلك يعرف الكسل .

أجاب بأسى : ولكنه يعرفني .

صمت قليلاً ثم أردف برجاء : أخبريني ما هي المفاجأة ، وأعدك حين أراها سأتفاجأ كما لو لم أكن أعلم .

أجبت بحدة : نادر كف عن المزاح .

أطلق ضحكة صغيره مجيباً : حسناً حسناً سأنتظر فماذا عساي أن أفعل ؟!

ما إن أغلقت الهاتف حتى اندفعت إلي اللوحة بحماس مضاعف ، واصلت العمل بها النهار بطوله دون كلل أو ملل ، تيبست أمامها لا يزحزحني سوى ذهابي إلى الحمام أو جلوسي مع ندا التي ما إن رأتها نطقت تعابير وجهها قبل أن ينطق لسانها بالإعجاب ، مما زاد من حماستي واستثار نشاطي حد أنني رفضت الذهاب معها لتناول الغداء ، وعلى هذه الشاكلة انقضى هذا اليوم والذي يليه ، إلي أن وقفت أمامها في نهاية اليوم حين أنهيتها تماما ، بنظره رضا

كنت أحملق فيها ، واكتملت حينها سعادتي وتفاقم بداخلي شعور بالفخر لما أنجزته ولم تبرح الابتسامة شفتي ، وكنت أتوق للحظة التي يراها فيها نادر ، وأتوق أكثر لرؤيه ابتسامته المرحة تلوح بتيه على شفتيه ، وبقلب مطمئن ونفس يملأها الرضا توجهت إلى الفراش استعجل صباح الغد في القدوم.

****

وقفت حائرة أمام الدولاب و لأول مرة منذ أن وطأة قدماي هذه المدينة أفكر في التخلي عن طقوسي في ارتداء الملابس ، فكرت في الظهور بمظهر جديد وكأنى أريد لهذا اللقاء أن يكون جديداً ومختلفاً من كافة النواحي ، وبعد فترة ليست بالقليلة من التردد والتفكير وبعد أن قمت بإلقاء كل ما كان يحتويه الدولاب من ملابس على الفراش ، استقر اختياري أخيرا على تنوره صفراء تقف عند حدود ركبتي ، وبلوزه بيضاء بلا أكمام ، ورميت شعرى على كتفي ولم أرفعه ، ابتسمت و أنا أتذكر حين قال لي نادر بأنه هكذا أفضل ،

نظرت لنفسي بالمرآة نظرة رضا ، وقد نال مظهري استحساني ، التفت إلى اللوحة الموضوعة فوق الفراش خلفي والتقطها بحرص شديد كما لو كانت قطعه نفيسة أخشي عليها الخدش ، هاجمني الضحك حين تذكرت ندا وهى تساعدني في تغليفها وقد أبدت استنكارها من كبر حجمها وأخذت تدمدم بامتعاض " لم لم تكتفى بلوحة أصغر حجماً"

رن هاتفي وكان نادر يبلغني بوصوله وانتظاره لي بالأسفل ، فتوجهت نحو الباب ممسكة اللوحة بإحكام وما إن وضعت يدى على مقبض الباب التفت بتردد إلي أدوات المكياج التي تزين التسريحة ولم أستعملها يوماً ، ثم توجهت نحوها بخطوات واسعه فلابأس بقليل من الحيوية والتأنق لشفتي ، خرجت من الغرفة ورحت أغذ الخطى وهبط الدرج بخطوات واسعه يدفعها حماسي ، وجدت عمى يجلس بالصالون برفقة إيهاب الذي تظاهر بانهماكه في قراءه كتاب بين يديه ، ألقيت عليهم التحية وقد تعمدت إظهار الفرح بنبرة صوتي ، وبخبث استأذنت عمى لأذهب مع نادر بالرغم من علمه بهذا مسبقاً إذ قال له نادر ، إلا

أنني لم أكن لأضيع فرصه مثل هذه كي أشعل نيران الغيرة بصدر إيهاب .

حين خرجت من المنزل أبصرت نادر يقف واضعا يديه في جيبه مستنداً إلى سيارته وقد بدا شارداً ، وما إن دنوت منه حتى انتبه لوجودي فاعتدل في وقفته وبنظره مبهورة أخرج يده من جيبه ليرفعها أمامه في حركة تساؤليه قائلاً :

من أين لكِ بكل هذا الجمال ؟ هل ابتعادي عنك يزيدك جمالاً؟

أكمل غامزاً : إن كان هذا حقاً فأنا على استعداد بأن ابتعد عنكِ أكثر وأكثر .

سألته بينما أتأمل هيئته التي بدت جدية إذ كانت المرة الأولى التي أراه يرتدي حله سوداء أنيقة ذات لمعه أظهرها ضوء القمر ، وكانت ابتسامته الصافية وغمازته التي تزين وجنته تجعلانه يبدو أكثر وسامة : وأنت من أين لك بكل هذه الأناقة؟



أعتدل بفخر في وقفته وقال باعتداد : عزيزتي هذا بعض مما لدي .

رفعت إحدى حاجبي دهشة قائله باستنكار: حقاً !

ليجيب بثقة : بالطبع .

ثم هم بفتح باب السيارة لي ، إلا انه توقف حين لمح اللوحة بيدي فأشار إليها قائلا بتساؤل : ما هذا ؟!

سلمتها له وبحماس أجبته : إنها المفاجأة التي أخبرتك بها .

أخذها منى ببطيء وعيناه لا تبرحان عيني ، واختفت ابتسامته وحل محلها علامات الدهشة والتساؤل ، انتقل بنظره إليها ثم زم شفتيه وبدا متوجساً وقبل أن يزيح عنها غلافها نظر إلي نظرة لم أفهم معناها قائلاً :

لا تقولي بأنكِ قد رسمتي لوحة لأمي !

خاب أملى حين لم أجد في ملامحه ولا نبرة صوته ما يشي بالفرح ، وتفاقمت الأسئلة برأسي لا أدرى إن كان يريد الذهاب معي لدي شرائي للأدوات المطلوبة ، أم أنه أراد أن يتابع رسمها خطوة

بخطوة ؟! ولكن أياً كان ما يريده فانا لم أشأ سوى أن أفاجئه ، فأجبت بصوت منكسر : بلي ، لقد رسمتها ...

أجفلت حين وجدت نفسي فجأة محاطه بذراعيه ، وما إن انفلت من بينهما حتى تابعته يدهشه وهو يقفز في الهواء بجزل كالأطفال مبدياً سعادته وكان يصيح بكلمات غير مفهومه طارت في الهواء ، فما كان منى إلا أن انفجرت ضحكاً على سلوكه الغير متوقع هذا ، ثم استقر أمامي لاهثاً وبعينين لامعتين ببريق السعادة قال : لا تدركين مكانه هذه المفاجأة لدي .

كان صوته ينبأ ببكاء قادم على عكس ملامحه التي كانت تنطق بالسعادة ، فابتسم داخلي وأنا أحيبه : لم أتوقع أنك ستفرح هكذا !

فأجاب بتأثر وهو يلتفت اللوحة بين يده ، ويمشى بأصابعه فوقها كأنما يرى ما بداخلها من خلال لمسته : لم يتسن لي رؤيتها ، لذا فأنا دائماً ما أجمع لها الصور وأقوم بتكبيرها ، وهذه المرة الأولى التي أفكر بأن أطلب من أحد رسمها لي .



تطلع إلي بامتنان ثم واصل مرراه ساخرة : و كأنني بهذا أعوض عن غيابها .

شعرت بغصة في حلقي وسرت رعشه خفيفة بجسدي ، وأنا أرى أمامي جانباً جديداً في هذا الرجل الذي بدا وكأنه شخصاً آخر ، شخص قد ترك فيه الحزن أثراً لم تفلح الأيام في محوه ، وكما لو كانت مشاعره لصدقها كالعدوى إذ انتقلت إليّ لأجدني ولأول مرة منذ زمن بعيد أتذكر أمي التي رحلت وتركتني حين كنت في السابعة من عمرى ، دمعت عيناي وأنا أشعر بأنني الآن في أمس الحاجة إلى حضنها يبعث فيّ الأمان الذي افتقده ، الأمان الذي رحل برحيل أبي ليحل محله الخوف والألم والاضطراب .

"ماذا يا آنسه ، لم هذه الدموع الآن ؟! "

قالها نادر وقد عاد الحماس إلى صوته ، فابتسمت له قائله وأنا أحاول أن أضفي قليلا من مرحه إلى صوتي :

لا شيء ، ألن نذهب ؟





أشار بابتسامه سامحاً لي بالركوب ، ولكنى لمحته حين كنت أجلس بداخل السيارة ينظر إلى نقطه خلفي وقد انعقد جبينه ، انتظرت حتى استقر بجواري فسألته : ماذا حدث ؟

فأشار برأسه نحو المرآة بجواري ، وقال وهو يدير محرك السيارة : انظري ، إن إيهاب كان يراقبنا من وراء شرفته .

بسرعه التفت نحو المرآة انظر إليه ، فدق قلبي بسعادة وقفزت ابتسامة عريضة على شفتاي ، وصاح عقلي بجنون :

مازال وسيظل يحبك وحدك .

****

عدنا بعد ليلة مختلفة زاد من جمالها وروعتها ذلك النادر فحقاً هو نادر فعلاً ، يزيد من إعجابي له حماسه المتقد ، وروحه المثيرة وبهجته التي تشع من ابتسامته ، ونظرته المختلفة للأمور إذ يري كل شيء بالحياة جميل ذلك أن له نفس جميله يفوح عطرها المنعش ليغطي كل الأشياء حوله ، جاء معي ليقابل

عمى فيخبره بأمر دروس العزف ، ولكن ما إن ترجلنا من السيارة اصطدمت عيني بإيهاب الواقف أمام الباب عاقداً يده خلف ظهره ، يرمقنا بوجه صبغ باللون الأحمر فأدركت أنه قد وصل من الغضب أقصاه ، تسرب الخوف إليّ فأنا أعرف كيف يصبح إيهاب ضارياً كالوحوش حين ينتابه الغضب ، ازدردت ريقي بصعوبة حين أبصرت نادر يتقدم نحوه وحياه بفتور ، زادت دقات قلبي حين حدق فيه إيهاب بحدة ولم يرد تحيته ، وبعد ثواني ثقيلة من الصمت القاتل وقع قلبي بين قدمي حين توجه إيهاب بنظره نحوى قائلاً من بين أسنانه المطبقة : أريد التحدث معكِ .

بشجاعة لا أعلم مصدرها أجبته : لا يوجد ما نتحدث بشأنه .

انتفضت كل ذرات جسدي بفزع وهو يصرخ :

قلت أريد التحدث معكِ ، لم الجدال ؟

لم يتسن لي الوقت لأجيبه إذ اندفع نادر نحوه بغضب وصاح به وهو يمسك بياقته : لمِ الصراخ الآن ؟



أزاح إيهاب يد نادر من على قميصه وقال بينما ظهرت عروقه وهو يزيد من إطباق أسنانه : لا دخل لك أنت ، لمَ لا تدعها وشأنها ها ؟

تسارعت أنفاسي وكاد قلبي يقف من فرط سرعته ، لا أستطيع استيعاب ما يحدث بعد ، ولكن كل ما اعرفه أن الأمور ليست على ما يرام ، تملكني الخوف ولكن نادر هدأ من روعي قليلا حين تجاهل إيهاب ونظر لي مطمئناً وبشبح ابتسامه قال : اذهبي أنت إلى غرفتك .

تسمرت مكاني ولم أدرى ما على فعله ، نظرت إلى إيهاب بتوجس كأنما أنتظر إذنه أولاً فوجدته مازال ينظر لنادر بوجه مكفهر ، أتى صوت نادر مرة أخرى : هيا ماذا تنتظرين ؟

وحين لم أجد تعليقاً من إيهاب ، استجمعت شجاعتي وبخطوات مرتعشة انطلقت نحو المنزل وكادت قواي تخور من فرط مخاوفي ولكنى تحاملت على نفسي واعتدلت في سيري ، وما إن دخلت المنزل حتى هرولت إلى غرفتي وكأن شبحاً ما يطاردني ، دلفت إلى الغرفة بقلب مفزوع وروح مضطربة ، وبأنفاس تتسابق مع

الزمن ، وضعت يدي على صدري الذي لم يكف عن صعوده وهبوطه أهدئ من روعه ، و عقلي يكاد يجن من فرط التفكير، ترى ماذا يفعلان ؟ كيف سيتصرف نادر مع إيهاب ؟ هل سيتشاجران ؟ ماذا إن أصاب أحدهما مكروه ؟ لابد و إن نادر سيوضح لإيهاب أننا لسنا سوى صديقان ، ماذا إن لم يصدقه إيهاب ؟

أمسكت رأسي بشده أتوسله بأن يكف عن ضجيجه ، أخذت أذرع الغرفة ذهاباً و إياباً ، لا أترك الهاتف من يدي إذ بين الفينه والأخرى كنت أدق رقم نادر فيأتي صوت الرنين المزعج دون كلل أو ملل إلى أن ينقطع صوته تماماً دون أن يجيب نادر ، وبينما كنت أعيد المحاولة انتفض جسدي بذعر وأجفلت حتى كاد الهاتف يسقط من يدي حين دق الباب بشدة مفزعه ، بعينين زائغتين تطلعت إليه برعب وكأن شبحاً ما يقف خلفه ، بخطوات خائفة مضطربة توجهت نحوه ، وبحذر فتحه فوجدت إيهاب واقفاً خلفه ينظر إلي بعينين صبغتا بلون الدم، وجبين مقطب وملامح يغزوها الغضب تراجعت للخلف خطوتين بينما تقدم

نحوى خطوه واحدة ثابتة ، وهو يحدق في بثبات ظاهري وبداخله بركان أظنه سيثور في أية لحظة ، مد يده وأغلق الباب خلفه بهدوء ومازال نظره مثبت نحوى ، وأتى صوته وبدا لي مخيفاً :

ابتعدي عن نادر .

باستنكار مصحوباً بالسخط أجبته : لمَ ؟

انسحبت أنفاسي حين تفاجأت به يضرب الدولاب بيده ، وقد احتقن وجهه بالدماء ثم رماني بنظرة متوعده :

لا أريدك معه وانتهى الأمر .

بالرغم من الخوف الذي أثاره إيهاب داخلي ، إلا أن الدماء قد فارت برأسي وبدأت غليانها ، فأجبت بتحدٍ :

أخبرتك من قبل أن لا شأن لك بي ، سأفعل ما أريده ولا يحق لأي مخلوق التدخل فيما أريده .

وفى لحظة واحدة كان يمسكني من ذراعي بقوة آلمتني ، بدا لي شخصاً آخر غير نادر الحنون الذي أعرفه ، رمقني بنظرة جعلت قلبي يقفز بزعر ، اضطربت أنفاسي وجاهدت في إخفاء ما يعتمل بصدري ، ولكن دموعي خذلتني وكشفت عن ضعفي حين اندفعت من مقلتاي بغزارة ، استمع له يقول :

لا يحق لكِ فعل ما يؤذيني ، اسمع جيداً يا ملك .

صمت هنيه ثم أكمل بنظرة متوعده ونبرة قاسيه لم أعهدها في صوته من قبل :

إن لم تبتعدي عن نادر فلا تلومي أحداً غيرك لما قد أفعله به

قطبت جبيني بتفكير وبخوف بدا واضحاً بنبرة صوتي سألته :

ما الذي تقوله ؟

أفلت ذراعي بعنف ورد بنبرة أكثر قسوة : أقول أنك إن لم تبتعدي عنه فسأبذل ما بوسعي لإيذائه ، وكما قلت فانت هي السبب .

حدقته بصدمة وسألته مستجديه : لن تستطيع إيذاؤه فهو صديقك .

بغضب هادر صرخ بوجهي حتى ارتعدت أوصالي : كان صديقي أما الآن فهو عدوى الوحيد أفهمتى ؟

تملكني الخوف وأنا أراقب غضبه الذي بلغ ذروته وتخطاها ، وبصوت مرتعد سألته : كيف ستؤذيه ؟ أنت لا تستطيع إيذاء أحد .

أطرقت بحزن ثم رفعت نظري نحوه وأكملت بأسى : "سواي"

انفجرت منه ضحكة مدوية ، جعلتني أحدق فيه يدهشه ممزوجة بالسخط ، وضع يده على صدره كعادته عندما يضحك ، نظر إليّ وغلالله من الدموع تملأ عينه من أثر الضحك ، وبصوت يخلو من المزاح قال :

بلى أستطيع ، وهذا أمر سهل .

ثم نظر إلى أظافره عاقداً جبينه كما لو كان يفكر في أمر ما وأردف بخبث لم أظن يوماً بأن إيهاب يمتلكه : بالطبع لن أؤذيه

جسدياً أو شيء من هذا القبيل ، ولكنى أستطيع إيذاؤه في عمله ، أو مثلاً أزج به في السجن وهذا بالنسبة لي أمر يسير .

بلغ خوفي أقصاه حتى كاد يعتصر قلبي ولكن هذه المرة ليس خوفاً من إيهاب فقط ، بل خوف على نادر ، فهو لا شأن له بنا لا يستحق أن يصاب بأي أذي حتى وإن كانت قرصه بعوضة ، ولكن هل سيقدم إيهاب على فعل شيء مما يقوله ؟ بالطبع لا فأنا أعرفه جيداً ، فهو يملك قلباً نقياً لا يستطيع أن يؤذى غيره ، إنها فقط لحظه من لحظات غضبه التي تحوله إلى شخصاً آخر أكثر قسوة ، وسرعان ما سيهدأ ويعود إليه عقله ، بثبات قلت له :

لا أصدق بأنك قد تفعل هذا .

بهدوء مخالف تماماً لما كان عليه من لحظات : لا يهم ، لقد حذرتكِ وانتهى الأمر .

هممت بأن أعلق على كلامه ولكن الحروف علقت بحلقى و انعقد لساني حين علا صوت رنين هاتفي ، تجولت نظراتي الحائرة بين الهاتف و إيهاب الماثل أمامي ، تجمدت أوصالي وشلت أطرافي فلم استطع أن أحرك ساكناً ، إلى أن رحل إيهاب دون أن يزيد كلمه واحدة ، لابد و أنه لم يعلم بأن نادر هو المتصل و إلا لما كانت هذه رده فعله ، وما أن خرج حتى أسرعت نحو الباب أغلقه خلفه و أجبت على الهاتف التقط أنفاسي وكأن الأكسجين كان منسحباً في حضرة إيهاب ، وبصوت يشوبه البكاء أخذت أقص على نادر ما دار بيني وبين إيهاب وكيف حذرني إن لم أبتعد عنه ، لتأتيني ضحكته القصيرة ويعلق بسخريه : يا ملك لم كل هذا الخوف ؟ كل ما قاله ليس إلا مجرد " هراء"

لفظ كلمته ثم انفجر ضاحكاً قبل أن يكمل :

هو فقط لا يرد أن يراكِ تستمتعين بوقتك دونه ، يريد رؤيتكِ عاجزة ضعيفة في بعدك عنه .

علقت بصدمه وأنا أجلس على الفراش بعد أن خارت قواي : ما الذي تقوله ؟!

- ماذا ؟ ألست محقاً ؟!

- بالطبع لا ، فإيهاب يشعر بالغيرة ليس إلا ..

سمعت صوت تنهيدة عميقه خرجت من صدره ثم علق بهدوء:

إن كان يحبك حقاً فلم تخلى عنك بهذه السهولة إذن ؟ لمَ ذهب إلى غيرك وتركك تعانين ؟ لم يريد الزواج من أخرى ويكمل حياته بينما تظلي أنتِ في متاهة أحزانه لا تستطيعي الخروج منها ؟ ...

كانت أسئلته تصيبني في مقتل ، ليس فقط لأنني اخشى أجوبتها بل أيضا لأنى لم أجرؤ يوماً على أن أسأل نفسي إحداها ، لأنى ببساطة إذا بحثت عن إجابه لها لن تكون سوى أن إيهاب لا يحبني حقاً ، غاص قلبي بين ضلوعه حين راودني هذا الخاطر ، فعلقت بسرعه وكأنني أنفي تهمه عن إيهاب أو أبحث له عن عذر

لم أقتنع به حتى : هو فقط لا يريد أن يؤذي سارة أو يجرح شعورها .

ضحك بتهكم وقال بسخرية لاذعه : يا له من سبب كاف !

صمت وطال صمتي وبداخلي نار تتأجج يصعد لهيبها إلى مقلتي فتفرز دموعا مالحة لتخفف من حرارتها ، ولكنها كانت تزيد من حرقتها وتهبط على وجهي ساخنه لتكوية بعنف ، وكما لو شعر بلهيب حزني فأراد أن يخفف وطئته ، فغير مجرى الحديث قائلاً : لا تنسي موعدنا غداً مع أول دروس العزف فأنا لا أحب الإهمال أو التكاسل في المواعيد.

كفكفت دموعي وقد عزمت على المضي قدماً بصحبه نادر ، بعد أن رميت بتحذير إيهاب عرض الحائط ، فلا يستحق مخلوق مهما كانت مكانته بقلبي بأن يجعلني أخسر شخصاً رائعاً كنادر .

****

مر أسبوعان تعلمت فيهما العزف على البيانو حتى أتقنته ، كنت أذهب يوماً بصحبه نادر إلى منزلهم الذي أصبح محببا إلى قلبي اكثر من ذلك الذي أقيم فيه ، حيث كنت أقضى ساعات النهار في التعلم برفقة نادر الذي كان يتحين الفرص كي ينتزع منى الضحك انتزاعاً ، وكنت معه أعود طفله لا تبالي لشيء فقط تستمتع بكل شيء وتضحك على طرافته ملئ شدقيها ، احتفل بإنجازي حين أتقن معزوفة ما ثم نعزفها معاً ، وكنا حين نمل العزف أو يمل منا نجلس ثلاثتنا أنا ونادر ووالده الذي تعلقت به بشدة وتوطدت العلاقة بيننا كأب وابنته ، نستمتع ارتشاف الشاي المصحوب بالكعك الذي كانت نكهته تتغير في كل مره عن سابقتها ، وكان يروق لي كثيراً تناوله بنهم بينما كنت أراقب الأب وابنه وهما يتنافسان في لعب الشطرنج ، وفي كل مرة كنت أنفجر ضحكاً حتى تدمع عيناي عندما يخسر نادر ويتذمر كالأطفال متهماً والده بالتحايل في اللعب ، ودائماً ما أطلب أنا يلاعبني أحدهما فيضحك نادر سخريه ويردد مثيراً غيظي " يكفي أن تشاهدي فقط عزيزتي ، فهذه اللعبة للأذكياء فقط أمثالي "

لأنهال عليه ضرباً ويغرق هو في ضحك يغرق أنفاسه .

وفي يوم أيقظني مبكراً من نومى برنينه المستمر دون كلل أو ملل ، فأجبت بصوت يغلبه النعاس ليأتيني صوته مفعماً بالحماس : أمامك خمس دقائق لتكوني أمامي الآن ، هيا انهضي فأنا أنتظرك بالأسفل .

ألقى جملته و أغلق الهاتف دون أن ينتظر ردى ، فنظرت إلى الهاتف بدهشه أفرك عيني و أغمضها و أفتحها مرارا لأتأكد من أن هذا ليس حلماً ، قفزت من الفراش كما لو أنني قد أصبت بماس كهربي ، ولا أدرى كيف ارتديت ملابسي وخرجت من الغرفة وأصبحت أمامه في ظرف دقيقتان وليس خمس كما قال ، فقط كان الفضول يدفعني دفعاً ، كان ينتظرني بابتسامة زادت من وسامته فدونت منه متسائلة : ماذا هناك ؟ ولمَ أحضرت السيارة ؟

جذبني من ذراعي وبدا على عجله من أمره وفتح لي باب السيارة لأدلف إليها و أنا مدهوشة ، تابعته بذهول وهو يأخذ مكانه



بجواري وما إن تحركت السيارة التفت إلي بابتسامة واسعه وغمازة ملفته تغوص في وجنته :

أردت أن نذهب سوياً لتناول الإفطار في مطعم ما .

باستنكار شديد : ماذا ؟! كل هذه العجلة فقط لتناول الإفطار!

ببرود متناهي أجاب : نعم .

نظرت أمامي وعلقت بنفاذ صبر : ولكنني حتى لم أخبر عمى.

غمز قائلاً : أنا فعلت .

بجنونه المعتاد نفذ ما أراده ، ولم يكتفى فقط بوجبه الإفطار بل تناولنا معاً الثلاث وجبات ، إذ قضينا اليوم بأكمله نجوب أرجاء المعمورة ولبس دور المرشد لجهلي للمدينة ، وبالرغم من الأماكن الرائعة الكثيرة التي اصطحبني إليها إلا أن أكثر ما قد راق لي هي بضع الساعات التي قضيناها آخر اليوم أمام النيل ، فحب الماء يسرى بدمى ، وكانت نسمات الهواء المحملة ببروده طفيفة تذكرني ببحر الإسكندرية وهواؤه الذي لطالما داعب وجهى ولاعب خصلات شعرى ، حاولت كبح جماح

ذكرياتي عند هذا الحد ، كي لا تطرق إلى تلك الأيام التي تلوح لي الآن كحلم لم يتحقق عندما كان والدي وإيهاب يملآن حياتي ولا أفكر بسواهما ، ولكن كما المتوقع باءت محاولاتي بالفشل وطفرت دمعة ثقيلة بين جفني أثقلت قلبي ، التفت إلي نادر حين شعرت بيده على كتفي وكأنما أدرك ما يفعله النيل بذكرياتي ليقول : أنعود ؟!

أومأت بصمت وانطلقنا عائدين وفي طريق عودتنا هاتف عمى نادر وطلب منه أن يأتي معي إلى المنزل إذ يريد إخباره بأمر هام .

****

شعرت بضيق في صدري لا أعلم سببه حين وجدتهم يجلسون معاً بانتظارنا ، زاد انقباض قلبي حين رأيت تلك الشقراء في فستان أزرق قصير تجلس بجوار إيهاب تعلو فمها ابتسامه عريضة كشفت عن أسنان ناصعه البياض تخرج لي لسانها فتزيد من حنقي ، انضم اليهم نادر بعد أن ألقى عليهم التحية ومازالت واقفه مكاني بلا حراك ، فدعاني عمى للجلوس ، جاء نصيبي أن أجلس أمام إيهاب مباشره لأجده يرمقني بنظرات لم أفهم

معناها ولكنها في كل الأحوال لم تكن تشي بخير على الإطلاق ، فبدأ عمى الحديث موجهاً كلامه لنادر :

لقد طلبت منك الحضور يا نادر كي تخبر والدك بأمر هام قررناه اليوم على عجل .

اعتدل نادر في جلسته باهتمام وأجاب بابتسامة :

بالطبع سأخبر ولكن ما هو هذا الأمر ؟

تنحنح عمى استعداداً للإجابة ولم يخف عنى ذلك التوتر البادي في قسمات وجهه ، ولكن إيهاب بادره وبنبرة قاسيه خرجت كلماته كالسهام تشق طريقها شقاً إلى قلبي فتهاجمه بشراسه ليئن بوجع وهو يقول :

لقد قررت إقامة حفل زفافي الأسبوع القادم .

زلزال مدوي أصاب روحي ، وزلزل كياني ، وتناثرت أشلائي ، بعينين زائغتين وعقل غائب لا يريد استيعاب ما قد قيل أخذت أحدق بإيهاب أبحث في ملامحه عن شيء ينبأ بمزاح ثقيل ، فلم أجد سوى ضحكة مميته ترتسم فوق شفتيه ، جعلت قلبي يزرف



دموعه ، وأنفاسي تثقل وصدري يُغلق يأبي دخول المزيد من الهواء إليه ، فتخور قواي ويعجز قلبي عن إكمال مهمته في ضخ الدم ، لتبهت الألوان حولي وتخفت الأصوات ، وتبتعد الأوجه شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهى كل شيء

****

صداع عنيف يغزو رأسي عنوة دون أدنى مقاومة منه ، ألم شديد يتفشى بجسدي تجعل كل ذرة به تنتفض ألماً وتئن وجعاً ، أفتح عيني بصعوبة وحذر شديدان ليداهمني ضوء فيؤلماني بشدة وأعاود إغلاقهما بفزع وأشعر بألم جسدي قد تضاعف ، انتبهت حواسي حين التقطت أذناي صوت ندا ، فاطمأن قلبي وشيئاً من الأمان سرى بأوصالي ، وبعد لحظات استجمعت بها شجاعتي عدت أفتح عيني مرة أخرى ولكن أكثر بطئاً وحذراً ، وبشيء من الخوف تحملت ذلك الألم الذي يسببه الضوء لهما ، تجولت بعيني لأجدني محاطه بعدد من الأوجه تتباين رده فعلها ما بين التوجس والترقب والبكاء والفرح ، وكان جسدي ممداً على فراش يتصل به العديد من الأجهزة ، وكثير من المحاليل

الطبية التي توفر لجسدي الواهن الغذاء اللازم لإبقائه على قيد الحياة ، اعتصر الألم قلبي وتناثرت بقايا روحي حين لم أجد أحب وجه إلي قلبي ، كان الجميع حاضرون إلا هو ، التفت إلى نادر حين ضغط بقوة على يدي وعلامات الذعر جليه على وجهه ، وبخوف سألني : أتسمعيننا ؟!

أدركت حينها بأنه كان يحدثني ولم ينتبه عقلي له ، قاومت ألم جسدي وتناسيت صداع رأسي وبوهن أجبته : أسمعكم .

زفر براحة وعادت بسمته ، لتقول نجوى وقد تراقصت دمعه بعينيها : قلقت عليكِ كثيراً بنيتي ، حمد للّه على سلامتك .

لتعلق ندا من بين دموعها : قتلني الخوف حين قال الطبيب بأن غيبوبتك قد تطول أكثر .

لم أفهم ما كانت تقوله ندا ، عن أي غيبوبة تتحدث ؟!

منعني تعبى من الاستفسار ، بالإضافة إلى تعليمات الطبيب بأنني بحاجة إلي الراحة ، فرحل الجميع وبقى نادر ، جلس بجواري ممسكاً يدي وكأنما يريد إخباري بأنه لن يتخلى عنى مهما



حدث ، نظرت إليه بأعين دامعة و لساني لا يقوى على الحراك أود أن أستفهم منه عما حدث ، وكما لو كان يشعر بعجزي ، حرك رأسه بأسى وقال كأنما يقرأ من تقرير أمامه : ارتفاع في ضغط الدم يؤدي إلى غيبوبة لخمسة أيام ، أيّ لعنه حب هذه التي تفعل بكِ كل هذا ؟

دهشت لما قال ولم تخف عنه دهشتي ، فقد ظننت بأنها مجرد إغماءه خفيفة وأفاقوني بالمشفى ، زادت مراره حلقى وأخذت الدموع تتكثف بين جفني ، أحدق بنادر الذي كان يشاركني الحزن بصدق ظهر جليا في ملامحه ، تجاهلت ذلك الألم الذي يكاد يفتك برأسي ، وبصوت مخنوق ولسان ثقيل سألته : هل حقاً سيتزوج ؟

أطبق على يدي بشدة ، وبنظرة قاسية لاحت من عيناه أجاب : نعم ، سيتزوج من أخرى ولن يبالي بكِ ، لمَ إذن لا تنسينه؟

الأمر في غايه البساطة هو لا يحبك ولا يستحق ذرة من حبك له ، لو كان حقاً يحبك لما فعل بكِ شيئاً من هذا .

كانت دموعي كالسيول وهى تجرى على وجهى دون توقف ، يتمزق قلبي و أنا استمع إليه ونبرة صوته تعلو بغلظة مؤلمة ، أعلم بأنه يوّد مساعدتي على التعايش مع الأمر ، ولكنه لم يكن على دراية بأنه ينشر السموم على جروحي فيضاعف وجعي ، صمت نادر وصمتت الغرفة إلا من صوت شهقاتي ، أشعر بشراييني تكاد تنفجر ألماً ، وقلبي يموت وجعاً ، وهذا الثقل فوق صدري يتضاعف مع كل دمعه تذرفها عيني ، امتدت يد نادر خلف رأسي ، وبيده الأخرى كوب ماء ساعدتني لارتشف قليلاً منه ، وبحنان لامسته بيده حين مدها يكفكف دموعي ، وبنظرة يغلفها الحزن قال:

سامحيني أرجوكِ فلم أقصد أن أكون فظاً معك .

ابتسمت بمراره وبسخريه علقت : أهكذا تكون فظا ! أرجوك لا تعتذر فدونك لا أدرى كيف كنت سأواجه كل هذا الألم .

التقت يدي بين كفيه وشد عليهما قائلاً :صدقيني بي أو بدوني أنتِ أقوى من كل هذا ، فقط أعقدي العزم بأن تتخطي كل ما يحدث الآن ، و أبدئي من جديد وكأن شيئاً لم يكن .





سحبت نفساً عميقاً زفرته بقوة أتوسل كل ذرة بجسدي أن تُخرج ما بها من ألم ووجع مع هواء ذلك الزفير ، علقت بأسى: سبق وحاولت ، ولم أفلح

شدد على يدي وأجاب بحسم : ستحاولين مجدداً وزفاف إيهاب هو البداية .

اختنق قلبي بين ضلوع حين قال زفاف ، و كأنني أسمعها لأول مرة أخذ عقلي يفكر بإيهاب وقلبي يشهد على كل شيء ، أبعد كل هذا سيكون لأخرى ! كيف سيتأتى له العيش مع امرأة غيري؟ لا يستطيع عقلي تصديق بأنه أقدم على فعل شيء كهذا ، ألم يؤنبه ضميره على خيانتي بهذا الشكل المفجع؟ أم أنه لا يظن بأنه يخونني من الأساس ؟ ألم يحمل لي قلبه شيئاً من الحب ؟ أكانت علاقتنا عابرة بالنسبة له ، وينتظر فرصة ينتهزها ليبتعد عنى ويذهب لأخرى ؟! كيف له أن يكون بكل هذا الجحود ؟ كيف يراني أتألم وأتعذب بسببه ويذهب عنى دون أن يلتفت وراءه إلى تلك الجثة الهامدة التي قتلها حبه ؟!

مددت يدي أزيل تلك الدمعة التي تتمايل فوق خدى بتردد ، التفت إلي نادر وبعزم زاده شعوري بالغل قلت :

سأقتلع إيهاب من قلبي مهما كلفني الأمر .

****

عدت إلى المنزل بعد قضاء ليلتين راقده بالمشفى لم ينقذني من وحشيتهما سوى نادر الذي لم يتركني لحظه واحدة ، حتى في الأوقات التي تأتى فيها ندا كان يستغلها بالنوم قليلاً ويأبى الرحيل ، وبينما كنت أتناول الطعام في غرفتي بصحبة ندا التي أصبحت تشاركني الغرفة علا رنين هاتفي فأجبت وأنا ألوك الطعام في فمي : مرحباً نادر

- أتحبين ركوب الدراجات العجلية ؟

-ماذا ؟!

- ألا تستطيعين ؟

- بلى أستطيع ، ولكن لمَ ؟

- أنتِ كثيرة الأسئلة دائماً ، كفى عن طرح الأسئلة وتعالى في الحال أنا بانتظارك .

وكعادته حين يقرر شيئاً ما أغلق الهاتف قبل أن أجيبه ، فأخذت أنقل نظراتي المندهشة بين الهاتف بيدي ووجه ندا الذي يكسوه البلاهة وعدم الفهم ، ثم قفزت من مكاني وقلت لها في حين أتوجه نحو الباب : سأذهب للقاء نادر .

وجدته بانتظاري في الأسفل مما زاد دهشتي إذ ظننته ينتظرني بمنزلهم ، وما إن دنوت منه فوجئت به يجذبني من يدي قائلاً : هيا بنا .

خرجنا من المنزل يسبقني بخطوات واسعه وأنا خلفه يتعجب حالي من تصرفاته المفاجئة التي لا تنتهى ، سحبت يدى من يده بقوة وقلت بحدة : لمَ دائماً أنت على عجلة من أمرك هكذا؟

فأجاب بابتسامة : أتعجل الأوقات التي أكون بها معكِ.

أسعدني جوابه وإن كنت قد شعرت بوخزة وجع بمكان ما بقلبي ، فكان هذا الجواب ليطيرني فرحاً ويحلق بي في سماء



السعادة السرمدية إن كان قد خرج من فم إيهاب ولكن أين هو الآن ؟ لابد وأنه يرتب لزفافه الذي تم تأجيله بسبب احتجازي بالمشفى ، قطع على نادر حبل أفكاري حين مد يده يسحب دبوس شعرى لينسدل على كتفي قائلاً باستنكار : انظري هكذا أفضل ، لم دائماً تقيدين شعرك بهذا الشكل ؟ أتحبين أن يتعامل معك أحد بهذه القسوة ؟!

حدقت فيه بدهشه وفي يداه التي نشيران بعصبيه في كافه الاتجاهات ، كمحامي يدافع بشراسه عن موكله فانفجرت ضحكاً ، ليقول بابتسامه واسعه وهو يشير بيده نحو دراجتين عجليتين يقفان على مقربة منا : ما رأيك بجولة في المدينة بهما ؟

بحماس أجبته : هيا .

هممت بالتوجه نحوهما إلا انه استوقفني قائلاً :

انتظري أيتها الغشاشة لن تخدعيني مرة أخرى ، سننطلق في وقت واحد .



رفعت حاجبي بدهشه : أتريد أن نتسابق ؟

هز رأسه بحماس : سيكون أكثر تشويقاً .

- ولكنى لا أعرف المدينة !

وضع يده بجيبه وقال رافعاً أحد حاجبيه :

- إذاً سأعتبر نفسي الفائز .

- ماذا ؟ ولكن هذا ليس عدلاً .

- حسناً اعتبري أنني أرد لك المرة التي خدعتيني فيها.

- قلبك أسود.

- محقة تماماً .

وبحماس شديد انطلقت معه نجوب أرجاء المدينة ، وكان نادر يسبقني حيناً وأسبقه أنا حيناً آخر ، كنا إذا دخلنا أحد الأحياء له فيه ذكرى يوقفنا فيه ليقص عليّ مغامراته ومواقفه المضحكة ثم ننطلق مرة أخرى ، كان يستغل فرص عدم انتباهي له وانشغالي بما تعرضه المحلات فيختفى عن ناظري

ليبعث في نفسي الخوف إلى أن أوشك على البكاء وأنا أبحث عنه فيظهر أمامي ويكاد ينفجر ضحكاً حتى يتلون وجهه بلون الدم فأقدم على الضحك معه بدلاً من البكاء ، وقفنا نتناول المثلجات أمام النيل وهواؤه المنعش يبعث في جسدي بروده طفيفة تتفتح لها مسامي ويمتلأ صدري بالأكسجين ، قلت بصوت مسموع كأنما أحدث نفسي :

كان إيهاب دائماً يتذمر من كثرة تناولي للمثلجات .

ضحكت بمرارة لأكمل بسخرية : العجيب في الأمر أنه كان دائماً ما يشاركني تناولها رغم اعتراضه .

بغضب قال نادر بنبرة قاسيه : لم تريدين لنفسك العذاب ؟

- الأمر ليس بيدي .

- لا بل بيدك لكنكِ تحبين الضعف وتلجئين إليه.

- أرجوك لا تكن قاسياً ، فأنت لا تعرف كيف تكون حين تعشق أحدهم بكل جوارحك ، ويكن هو روحك تحيا به

ومعه وله ، ثم يرحل فجأة ليتركك جسداً بالياً لا حول له ولا قوة .

بنبرة حملت كثير من الحزن والأسى أيدتها طيف دمعه بعينه قال : بل أعرف هذا جيداً ، وأعرف تماماً كيف يكون الحب ، أدرك كيف لشخص آخر أن يسرق قلبك وأنت مسلوب الإرادة لا تمتلك القدرة على استرجاعه ، أعرف مراره أن يتعلق قلبك بأحدهم ولكنه قد وهب قلبه لآخر .

سالت دموع عينيه وبكى بصمت ، فزادت غصة قلبي وشعرت بصدق كلماته والوجع الذي يغلفها ، دنوت منه أمسح دموعه بكفى بينما كانت دموعي تشق طريقها بغزارة ، وبصوت باكي خرج من بين شفتي المرتعشتين :

هل سبق وأن أحببت ؟

شحذ نفساً عميقاً ونظر أمامه وبمرارة لم أعهدها بصوته أجاب : نعم ، أحببتها أكثر من أي شيء في هذا العالم .

التفت إليّ بعينين مغرورقين بالدموع وأردف :

أتعلمين لو خُيرت ما بين يوم واحد برفقتها وبين حياة كامله بدونها ، لوقع اختياري على يوم برفقتها دون أدني تفكير .

دق قلبي بجنون لما لامسته من حب نادر بصوته ، وزادت كثافه دموعي وسألته سؤال كنت قد أدركت جوابه مسبقاً إلا أنى تمنيت لو كان جوابه مخالفاً لتوقعي : أتحبك مثلما تحبها ؟

بابتسامة مريرة شعرت مرارتها في حلقى : تحب آخر .

كاد قلبي ينفطر كمداً وأنا أرى من كان دوماً يقويني ويشد من أزرى بهذا الضعف ، أرى من كانت البسمة لا تفارقه شاحب الوجه يعلو ملامحه كم هائل من الحزن ، اقتربت منه اربت على كتفه بأسى ، وبصوت حاولت إضافة شيء من الحماس إليه قلت : غداً ستحب أخرى ، وستحبك أيضاً .

قال كما لو لم يسمع ما قلت : ولكن علاقتهما قد باءت بالفشل .

كان كالغريق الذي يتعلق بقشه ، فأردت إلقاء وميضاً من الأمل بصدره ، فقلت بحماس : إذاً صارحها بحبك .

بدا ساهماً وهو يعلق : حتى وإن كانت ماتزال تحبه ؟

اضطربت قليلاً ولكن نظرة الرجاء الممزوجة الحزن التي كان يرمقني بها دفعتني لأجيبه بالإيجاب ، و اندفعت أشجعه بكلمات مقنعه لا أدرى إن كنت أقنعه هو أم أقنع نفسي قائلة : حبك الشديد لها بالتأكيد سيجعلها تقع بحبك ، فلن تجد فتاة من يحبها بهذا القدر من الإخلاص والصدق ، بالإضافة ل...

قاطعني فجأة قائلاً وعيناه مثبتتين على عيني لا يرمش له جفن : أحبك .

انتفض جسدي كالمحمومة ، وبرقت عيناي بغير تصديق ، شُل جسدي وانعقد لساني ، ورفض عقلي تصديق أن من يتحدث عنها هي أنا ! تجمدت عيناي بمحجريهما تبحثان في ملامحه عما يشي بالمزاح ، فلم تجدا سوى نظرة منكسرة وعينان تفيضان بحب جيّاش ، تطلب الأمر منى دقائق لأجيب بهمس يكاد يسمع : هذا غير صحيح .

بتحدٍ وألم أجاب : بل صحيح تماماً .



اتسعت عيناي دهشه : أتدرك ما تقول ؟

- نعم ، أقول أنى أحبك منذ أول مرة رأيتكِ بها ، ولم تكن هذه المرة بمنزل عمك بل كانت حين جئت إلى الإسكندرية برفقة إيهاب ، لمحتك من سيارتي بينما كان يترجل منها قادماً إليك ، يومها ارتسمت ابتسامتك الشغوفة بعقلي ورفض طيفك أن يذهب عن مخيلتي ، كنت أرى جميع النساء أنتِ ، انتابني شعور مميت بتأنيب الضمير لرفض قلبي أن يتوقف عن النبض إلا لكِ ، وحين رأيتك للمرة الثانية بمنزل عمك عاد قلبي للنبض مجدداً واستردت روحي الضائعة ، فأرجوكِ لا تسلبي روحي مجدداً .

بنظرات حائرة أخذت أحدق بدهشة وعدم تصديق في الماثل أمامي ، وعقلي لا يكف عن ضجيج تساؤلاته المتتالية ، أهذا هو نادر صديقي ؟ أكان يحبني كل هذا الوقت ؟ لم أخفى عنى كل هذا الوقت ؟ ولم قرر أن يبوح لي الآن ؟

اعتملت نيران الفجع بصدري واشتعلت أحزان قلبي بعدما أصبحت على يقين بأنني على وشك فقدان أعز أصدقائي وأقرب شخص



إلى قلبي ، فلم يعد قلبي يقوى على تحمل المزيد من مرارة الفقد ، فصدقاً لقد تلفت روحي ، لم تعاقبني الحياة دائماً بسلب أقرب الناس إلى قلبي ، وكأنها تعاقبني على كل لحظة سعادة شاركتها معهم !

صدقاً يا نادر لن أجد رجلاً مثلك ، لن أحظى بمن يملك لي كل هذا الكم الهائل من الحب ، الذي أصبحت الآن على ثقه أن إيهاب لم يكن لي يوماً بمثله ، أعذرني يا صديقي فأنا لا أريد أن أخدعك ، فمهما حاولت يظل إيهاب متربعاً داخل قلبي يأبي الخروج ، أما أنت فتستحق من هي أفضل مني ، تستحق من تهب لك قلبها وتكرس لك حياتها ، وأبداً لن أتمكن من أن أكون هي .

سحبت نفساً عميقا ألملم به شتات نفسي ، واستجمعت شجاعتي لأقول بصوت مضطرب متردد وإن كنت حاولت إظهاره بعكس ذلك :

- أنا آسفه أتمنى حقاً أن أبادلك الحب ولكنى لن أقدم على أن أداوى حباً بحب آخر ، إضافة إلى أنني لا أراك سوى صديقي المفضل .

****

أجلس بغرفتي أضم ساقي إلى صدري و ألقى عليها رأسي في استسلام تاركه العنان لدموعي بالانهمار علّى أجد وسيلة ما لنزع قليلًا مما يموج بصدري من أحزان ، وتخفف حدة نيران قلبي التي تزيدها الفراش تحتي أشعر به كالجمرة الملتهبة التي تحرق كل ما يقترب منها ، الغرفة حولي مطليه بألوان الكآبة والوحدة ، ضاعف غياب نادر من ثقل صدري أضعاف أضعاف ما كان عليه ، فقد مر ثلاثة أيام منذ لقاءنا الأخير ، لا تغيب عن مخيلتي صورة وجهه وملامحه الصارمة حين قلت له بأنه ليس سوى صديق لي .

كقطعه حجارة صماء لا روح فيها ولا حياة ، أجلس مكاني بلا حراك والبيت من حولي يعج بأصوات الحياة ، إذ كانت ترتيبات حفل الغد تقوم على قدم وساق ، الجميع يجوب المنزل بهمه

يشاركون في تزيينه يستعجلون ذلك اليوم ليحتفلوا فيه على حساب قلبي المكلوم ، لو كان نادر بجواري الآن لما كنت بهذا الضعف ، مجرد رؤيته تبعث في نفسي قوة لا أعلم مصدرها ، وكانت ابتسامته تُشع في بهجة معاكسه للضيق المقيم بصدري ، ولكن أين هو الآن؟! أعلم أنه يعانى مثلي تماماً وما يزيد قهري أنني السبب في معاناته ، يؤلمني أن أكون سببا في حزن من كان يوماً سبباً لسعادتي وسراً لابتسامتي .

قطع استرسال أفكاري صوت طرقات خفيفة على الباب ، مسحت دموعي وقمت بتثاقل ، تُرى أمازال هناك من يتذكر وجودي بهذا المنزل ؟

انسحبت أنفاسي لوهلة ودق قلبي بجنون حتى كاد يخرج من بين ضلوعه ، واتسعت عيني بدهشه حين أبصرته يقف أمامي بغمازه على خده زادت من وسامته ، انقلب حزني كله سعادة دفعه واحدة ، كما لو لم يكن للحزن وجود من الأساس ، فاندفعت نحوه أضمه بشدة كطفل ضائع وجد والديه بعد عناء

بحث دام كثيراً ، وبفرحة عارمة أخذت أردد وأنا أمسح على شعره : لقد افتقدك كثيراً .

ابعدني عنه برفق ليمسك وجهى بين كفيه ليقول وأنا أنظر لغمازته باشتياق : آسف لأنني ابتعدت عنكِ في هذا الوقت .

هززت رأسي بعنف : أرجوك لا تعتذر فأنا من يتوجب عليها شكرك لوجودك الآن .

ابتسم قلبي وراح يرقص بين ضلوعه حين أبصرته يغمز لي قائلاً : لا يتوجب على صديق أن يشكر صديقه ، أليس كذلك؟!

أومأت رأسي بامتنان ولم أنبس ببنت شفه ، ليقول بحماس مفاجئ كنت في غاية الاشتياق إليه : إذن هل أحضرتي ما سترتدينه في عرس الغد ؟!

ببلاهة أجبته : لا

أدار جسدي لأواجه الغرفة فدفعني بخفه قائلاً :

حسناً أرتدي ملابسك وأنا بانتظارك في الأسفل سنذهب سوياً .



أغلقت الباب خلفي وعلى ثغري ابتسامة واسعه وبداخلي سعادة عارمة جعلتني أقفز بمكاني جزلاً فها هو نادر قد عاد مجددا ، لطالما أدركت أن صديقاً رائعاً مثله لن يتخلى عنى مهما حدثاً ، ارتديت ملابسي بحماس تعجبت له ؛ فمن يصدق أن التي تقف أمام المرآة الآن وتمشط شعرها تستعد للذهاب كي تبتاع ما ترتديه في زفاف حبيبها ، هلا أخبرتني يا نادر ما هي وصفتك السحرية التي تتعبها كي تنشر البهجة أينما ذهبت ؟!

"لمَ الأسود ؟! " سألني نادر عندما طلبت رأيه في فستان نال إعجابي ، فأجبت وأنا أهز كتفاي :

-لا لشيء فقط أعجبني الفستان .

مط شفتيه باستياء واضح وبدا أنه لم ينل إعجابه ، فاختفى من أمامي للحظات ثم أتي حاملاً معه فستان آخر وألقاه لي غير اكتراث حتى كاد يقع من يدي قبل أن استطيع التقاطه ، وقام بدفعي قائلاً :

- ارتدي هذا أريد رؤيته ، هيا لا تكوني بطيئة هكذا.



دلفت إلى غرفة تبديل الملابس وأنا أغالب الضحك من تصرفاته الصبيانية ، وبعد لحظات خرجت مرتدية ما انتقاه لي ، رأيت بعينيه نظرة إعجاب لم يكن من العسير تميزها ، ابتسمت بخجل حين لم أجد منه تعليقاً ، تنحنحت قائله :

-ألم يعجبك ؟؟

هز رأسه بسرعه نافياً :

- لا لا فقط لم أتوقع أن يكون رائعاً هكذا .

استبد بي الخجل وشعرت بالدماء تنفجر وجنتاي ، فأسرعت إلى غرفة تبديل الملابس دون أن أعلق بكلمة .

كان الوقت متأخراً حين عدت إلى المنزل ، فلم أجد أحداً مستيقظاً ولكن هكذا ظننت فما إن هممت بصعود الدرج حتى أتى لي صوت إيهاب من خلفي قائلاً بحدة :

-ماذا كنتِ تفعلين بصحبة نادر ؟!

تسمرت مكاني وقد تملكني شعور تام بالسخط فأجبت بحدة دون أن ألتفت :

- كنت أبتاع ما سأرتديه غداً في حفل زفافك .

قلت جملتي وأنا أشدد على حروف الكلمة الأخيرة أذكره بأنني هي من يجب أن تلقى الأسئلة لتلوم وتعاتب وليس هو ، هممت بالصعود ولكنه جذبني من ذراعي لأواجهه ، وبغضب حاول كتمه قال : لمَ تلعبين معي ؟ ألم أحذرك وطلبت منك الابتعاد عنه ؟!

زاد حنقي حتى بلغ أقصاه ، وشعرت بالدماء تغلي برأسي ، رمقته بكره وقلت بسخط لم أظن يوماً بأنني قد أشعر به تجاهه :

- أتعلم أمراً ؟ لا يوجد أحد في هذا الكون بمثل أنانيتك .

تركته وصعدت الدرج بخطوات واسعه أود الهرب من أمامه ، فآتاني صوته متوعداً :

- لم تتركي لي خيار آخر إذن ، سأفعل ما بوسعي لأجعله يندم على يوم أحبكِ فيه .

تسمرت مكاني في منتصف الدرج ، ومزيج من المشاعر الخوف والحيرة والدهشة كانت تمتزج بصدري ، فنبرة صوته كانت

قاسيه ألقت بنفسي الخوف ، واستبدت بي الحيرة فإيهاب الذي أحببت لن يقدم على فعل ما يؤذي غيره ، وأدهشني معرفته بحب نادر لي ، أكان يعلم مسبقاً ؟ أم أنه توقع هذا فحسب ؟

نفضت عن رأسي الأسئلة التي تهاجمه ، وتوجهت إلى غرفتي تاركة إيهاب وتهديده ورائي وقد عزمت ألا التفت إليه مرة أخرى .

****

اليوم حفل زفاف إيهاب ولم أكن أنا عروسه ، أضحك بشدة حتى تدمع عيناي ، فمن كان يصدق أن يأتي يوم أتزين فيه كي أحضر زفاف من قضيت الأيام والليالي أخطط لمستقبلي معه ، أتذكر كيف كنا نرتب سوياً تفاصيل معيشتنا معاً حتى أسماء أطفالنا كنا نتشاجر لأجلها فأضحك حد البكاء ، أضحك سخرية من قدري أم سخرية مما تخبؤوه لنا الأيام لا أعلم ، أبكى حظى وأندب قلبي الذي حكم عليه بالإعدام قهراً أمد يدى لأكفكف أدمعي وأزيل معها ما أبقاه إيهاب في جعبتي من آلام حبه ، نهضت ارتدي ثوبي وقد عزمت على

نسيانه إلى الأبد ، فلم يعد هناك ولو بصيصاً من الأمل كي نكون معاً ، إن كان قد أختار أخرى وفضل العيش معها فليكن ، فكما كنت مخلصة لحبه إلى آخر رمق سأنتزعه من قلبي انتزاعاً ، لن أحزن ، لن أتألم ، لن أبكى فقط سأقنع عقلي بأنه لم يستحق حبي له يوماً ، ولن يستحق مزيداً من الحزن لأجله ، سأتتبع الفرح وأراقبه أينما كان وسأتمسك بتلابيبه حين أصادفه فلا يفر منى ، وها أنا ذا أتخذ من حفل زفافه سبباً يلقى إلي قلبي شيئاً من الفرح ، أوليس حضوري هذا الزفاف يعد قوه ما بعدها قوة ! إذن لمَ لا أحتفل بقوتي هذه وأسعد بها وأتخذ هذا اليوم بداية جديدة لحياة أخرى ، حياة بدون عذاب بدون ألم بدون حزن بدون إيهاب .

وقفت أتطلع لنفسي بالمرآة بعين رضا ، فقد حرصت أن أطل اليوم بطلة مميزة تبهر العيون ، زاد الفستان الذي أظهر رشاقة جسدي من رضاي إذ أضاف لونه الروزي مزيداً من التألق ، كان مصنوعاً من الدانتيل بلا أكمام ينتهى بشيء من الوسع عن حدود ركبتي ، أضاف له عقد من الفضة زينت به رقبتي مزيداً من



الجمال ، مررت على عيني بقلم من الكحل أظهر سحبتها الخفيفة ، ووضعت بعضاً من الحمرة زادت من اكتناز شفتي وأخيراً تركت لشعرى العنان كي ينسدل بحرية فوق كتفاي ، تصاعد رنين هاتفي فالتقطه وأنا أنزل على ركبتي أبحث عن الحذاء أسفل السرير وأجبت في حين كانت تمد يداي تبحث يداي عنه : مرحباً .

أتى صوت نادر صائحاً : لقد تأخرتِ كثيراً ، ماذا تفعلين كل هذا الوقت ؟

أجبت وأنا التقط فرده الحذاء الثانية : لقد انتهيت سآتي حالاً .

أغلقت الهاتف وشرعت أرتدي فردتي الحذاء بعجل وهرولت مسرعة نحو الباب ولكنى عدت ثانيه قبل أن أخرج لأضع بعضاً من العطر .

بأنفاس مضطربة وقدمين مرتعدين هبطت الدرج بتوجس حين وجدت العديد من الأعين تتوجه نحوى ، بحثت بنظرات حائرة عن نادر بين ذلك الحشد ولكنى لم أجده ،إلى أن انتشلتني ندا من الضياع الذي كنت أغرق به وابتسمت لها جزلاً وهى



تمتدح مظهري ، قالت وهى ترفع صوتهاً كي يتسنى لي سماعه فلا تضغو عليه الموسيقى : ما رأيك أن أعرفكِ على صديقاتي ؟

منعني صوت نادر الذي أتى من خلفي من الإجابة ، التفت إليه وهو يقول لندا : لا عزيزتي لن تأخذيها إلى أي مكان .

ابتسمت براحة حين رأيته ، واتسعت ابتسامتي حين غمز قائلاً : أنا من سيكون رفيقها اليوم ، لذا لا تلقين لها بالاً ودعيها وشأنها فحسب .

قالت ندا وهى ترد لنادر غمازته : حسناً سأدعها لك .

التفت إلي نادر عندما غادرت ندا ، فتساءل بتعجب :

- ما هذا الذى تفعلينه ؟!

- ماذا ؟!

- تسحرين عقول الرجال بجمالك المفرط هذا .

ابتسمت بخجل وتطاير قلبي طرباً لمدحه ، لأجده فجأة يسحبني من يدى ليجلسني على مقعد أمام بيانو وضع على يسار العمود الذي يزين الصالة من منتصفها ، وتحت نظراتي المندهشة وقف

نادر على الدرجة الثالثة من السلم يصفق بيده بعد أن أشار للموسيقى بأن تتوقف ، فانتبهت له جميع الأنظار وهدأت الأصوات واشرأبت الأعناق ترهف السمع لما سيقوله ، فتقلصت معدتي حين أشار نحوى بيده قائلاً :

- أقدم لك يا سادة ملك عازفه البيانو ، ستمتع أسماعكم اليوم بمعزوفة رائعة .

انسحبت أنفاسي حين صوبت جميع الأنظار نحوى تنتظر ما سأعزفه ، وأنا أحدق بنادر ألعنه بداخلي على هذا الموقف الذي وضعني فيه ، استجمعت شجاعتي من نظرته المحفزة فالتفت إلى البيانو وبأصابع مرتعده ونفس متوجسه بدأت في العزف حتى اندمجت بحواسي مع الموسيقى ولم انتبه لمن حولي ، تذكرت قول نادر لي " الموسيقى دائماً ما تنقلني لعالم آخر بعيد عن نفاق البشر "

تابع صوت الموسيقى صوت تصفيق حاد جعلني أشعر وكأنني ملكة هذا الحفل ، ابتسمت بجزل أشكر نادر بداخلي لما

جعلني أشعر به دون قصد ، بحثت عنه بعيني على الدرج ولكنه فاجأني من الخلف قائلاً بمرح :

- أنا فخور بكِ .

- هل عزفت جيداً .

- أجل ولكن ليس هذا السبب .

- ماذا إذن ؟

- لأنك أخيراً قررت وبصدق محو إيهاب من قلبك .

- ولكن سبق وأن قررت هذا ، ما الجديد إذاً .

- الجديد هو هذا - أشار بيده نحو عيني - ذلك البريق اللامع بعينيك ، بريق الإرادة الذي لم أره من قبل ، فدائماً ما رأيت لمعه حزن وضعف تسكن بين حفنيكِ تأبى الرحيل .

- يجب أن أعترف أن الفضل لك

- وأنا يجب أن أعترف أني في غايه السعادة لهذا ، هل أخبركِ سرا ؟!

- ماذا ؟!

- لم أفقد الأمل بعد وسأجعلك تقعين في حبي يوماً ما .

- هل أخبرك أمراً ؟

- ماذا ؟!

- أنا على يقين بأنك ستفلح في هذا .

اتسعت ابتسامته على آخرها فزادت من عمق غمازته ، وبرقت عيناه بفرح وكادت ملامحه تقفز طرباً ، همّ بالحديث ولكن قطعه صوت جلبه قادمه من ورائي فتعلقت عينه خلفي بينما استدرت أرى ما يحدث ، فانفرج فمي دهشه حين أبصرت رجال شرطه يقتحمون المنزل بعنف ، فأغلقت الموسيقى وخفت الأصوات واضطربت الأنفاس ، أصابني الهلع وسقط قلبي بين قدمي حين سمعت أحدهم يسأل : أين نادر مجاهد ؟!

تسمرت مكاني وانسحب الدم من عروقي و تيبست أطرافي حين تقدم نادر نحوه يقدم له نفسه ، تحركت عيني بجنون أبحث عن إيهاب فغاص قلبي بين أضلعي حين وجدته ينظر إلىّ بتشفي

، فدارت الأرض أسفل منى وكدت أسقط أرضاً لكنى تمالكت حين أبصرتهم يأخذونه معهم ، اندفعت نحوهم لأخلصه من بين براثنهم ولكن عمى كان لي بالمرصاد ، انقطعت أنفاسي وأنا أصرخ باسمه حتى ذهب معهم وذهب معه صوتي ، توقفت فجأة عن نحيب واندفعت كالمحمومة باتجاه والد نادر حين أبصرته يخرج من المنزل ودلفت دون أن انتظر أذنه إلى جواره بسيارته ، وانطلق يسبق الريح ويصرخ بهاتفه يطلب من المحامي اللحاق به .

بعقل مجهد وجسد واهن أسندت ظهري إلي الحائط خلفي ونظري مثبت على باب الغرفة التي يستجوبون نادر بها ، يكاد قلبي يتمزق ويشتعل عندما أتساءلت إن كان إيهاب هو من فعل به هذا ؟ ويرن السؤال صداه بأذني فأحرك رأسي بعنف أخرج هذا الصوت منه ، رأيت رجلاً لم أستطع أن أتبين ملامحه من غلالة الدموع التي تغطي مقلتاي يقترب منى يتحدث بكلمات بدت لي مبهمة لم يستطع عقلي تمييزها فأقترب منى يهز كتفي بعنف صراخاً بأسمى ، فاستدعيت حواسي وانتبه ذهني لأرى هذا المتطفل الذي لم يكن سوى المحامي منصور ، فألقى بنفسي

الأمل وألقيت بنفسي داخل صدره أشهق بحدة تاركة العنان لدموعي ، أخذ يربت على ظهري ويهدئ من روعي وكعادته بث داخلي بعضاً من القوة التي أحتاجها قبل أن ينضم لنادر داخل الغرفة .

القيت نفسي بجوار والد نادر الذي كان بارعاً في إخفاء توتره من ملامحه إلا أن هزه قدمه كشفت عنه ، أغمضت جفناي بشدة عسي تلك الأفكار المزعجة التي تتفاقم داخل رأسي تحل عنه ، فكفاني هذا القلب الذي ينفطر كمداً ، مر وقت لا أعرف مقداره ، ما أعرفه هو أنني أتلفت الكثير من خلايا عقلي ، وعدد لا بأس به من أعصابي قد ماتت وتم دفنها بسلام ، أما أطرافي فقد سرى بها خدر الألم حتى أسكنها تماماً فلم أعد قادرة على إبداء أدنى حركة ، هل أصبت بالشلل أم ماذا ؟ لا أعلم ولا يهمني إن أصبت به أم لا فكل ما يشغل تفكيري الآن هو نادر .

أجفلت حين أبصرت إيهاب قادماً من آخر الممر بخطوات واسعه ، أخذت أفتح عيني وأغلقها عده مرات لأتأكد أن من أراه هو إيهاب حقاً ولا يخيل لي ، التفت إلى والد نادر لأجده يضع رأسه بين يده

مطرقاً ، وكالمحمومة نظرت مرة أخرى باتجاه إيهاب الذي أقترب أكثر حتى ظهرت ملامحه فانقبض قلبي حين برقت عينيه بتشفي وانبثقت عن شفتيه ابتسامة لاذعه أكدت شكوكي وإن كنت مازالت أكذبها وأمنى نفسي بأن ما يحدث مع نادر لا دخل لإيهاب به ، اندفعت كالممسوسة حين أبصرته يدلف إلي غرفه كتب اسمه على بابها ، حاول الحارس منعى ولكن إيهاب استوقفه وطلب منه السماح لي بالدخول ، بخطوات متوجسه دلفت وأنا أحاول رسم البرود على وجهي بعكس النيران المتأججة بصدري ، زاد حنقي وتصاعدت الدماء إلي رأسي وأنا أرى إيهاب يجلس على مقعده وراء المكتب رافعاً قدمه عليه ، ينظر إليّ بفرحة لم يتكبد عناء إخفائها بل أظنه تعمد هذا وإلا لم أتى لمحل عمله في يوم زفافه ؟

صحت بغضب بالغ لم أستطع إخفاؤه :

- أنت من فعلت هذا بنادر ، أليس كذلك ؟

أزاح قدمه من فوق مكتبه واعتدل بجلسته قائلاً بنبرة حادة :

- بل أنت من فعلت به هكذا حين لم تخضعي لما أطلبه منك .



صرخت بهلع في وجهه :

- هل أصابك الجنون ؟ أتزج به في السجن فقط لأنني لا أريد الابتعاد عنه ؟

قام من مكانه ببرود والتفت حول مكتبه يخرج مسدساً من جيبه الخلفي يلقيه فوقه ويتقدم ليصبح أمامي مباشره وعينه لا تبرح عيناي ، فيقول بصوت أثار في نفسي الخوف :

- بل لأنه أحب شيئاً بين يدي .

هززت رأسي لا أفهم ما يقصده وقلت بتلعثم :

- لا لا يحق لك حبك لي بأن تزجه بالسجن .

اتسعت عيناي على آخرهما حين أبصرته يضحك بشده كما لو كنت ألقيت على مسامعه طرافه أعجبته ، فقال وهو يغالب الضحك :

- لم لا تفهمين عزيزتي ؟ أنا أنتقم منه فقط لكونه أراد شيء أمتلكه وليس لأنني أحبك .

بصدمة سألته :

- ماذا تقصد ؟ أتعنى بقولك هذا أنك لا تحبني ؟

بابتسامة ماكرة :

- لا أنكر أنني أحببتك وقت ما ، و أعجبني حبك لي وراقت لي تصرفاتك العاطفية كثيراً ، ولكنى لم أفكر يوماً أن تكوني زوجة لي .

هززت رأسي بعدم تصديق :

- لابد وأنك تكذب ، فإن كنت لا تحبني لم تقربت منى إذن ؟ لم أظهرت لي الحب ؟

بلامبالاة أضرمت النار بقلبي :

- لأكسب ثقة والدك وأتقرب منه .

- ماذا ؟!

تراجع بابتسامه خبيثة وجلس على الكرسي أمامي :

- أردت أن أتقرب منه إلي الحد الذي يجعلني أوقعه بقضية مخدرات بأسهل السبل .

- وما الذي يدفعك إلي هذا ؟

- لا أخفى عليكِ لقد كان لوالدك منافسون كُثر طلبوا منى هذا مقابل عائد مادي يستحق المخاطرة حقاً .

- لا لا أنت لا تفعل هذا ، أنت فقط تخبرني بهذا كي تجعلني أكرهك فلا أتعذب ببعدك عنى ، أليس كذلك ؟!

ضحك بشده حتى ظهرت نواجزه ، فقال وهو مازال يغالب الضحك :

- لا يهم معي إن كنتِ تكرهيني أم لا ، صدقيني حبيبتي فالأمر سيان لدي .

صحت بولع يكاد أكذب ما يقوله ويأبي عقلي التصديق :

- إن كان كذلك فلم حرصت على إخباري بنفسك بأمر القضية ؟ ولم أتيت لي بالمشفى بعد وفاه أبي وبقيت بحواري إلى أن أفقت من غيبوبتي ؟ ولم أتيت لي بغرفتي تطلب منى أن أسامحك ؟ أخبرني لم ؟

اتسعت ابتسامته اللاذعة وبدا كحية عملاقه :

- حسناً سأخبرك ، أما الأمر الأول فأردت أن أستمتع قليلاً حين أرى رده فعلكِ الدرامية فأنا أعشق الدراما كما تعلمين ، وبالنسبة للمشفى فأنا لم آتى إليكِ بل كانت كذبه صغيرة انطلت عليك ، وأتيت إلي غرفتك فضولاً ليس أكثر حين علمت أنك قد أصابك المرض بسببي راقني هذا الأمر كثيراً .

- أكل هذا كان خدعه ؟

- ما رأيك ؟ ألست ممثلاً بارعاً ؟!

- أقتل والدي بسببك ؟

- لا لا عزيزتي ، ضعي الأمور بموضعها لا أنكر أن والدك كان قد زج بالسجن بسببي ولكن قدره أن يموت قبل ذلك .

- ولكن المحامي أخبرني بأنه حقاً تاجر مخدرات

- منصور ! يا عزيزتي من أين لكِ بكل هذا الذكاء ، منصور يعمل لصالحي وأنا من دفعت به دفعاً ليترافع عن والدك فأضمن أنني قد كسبت القضية .

تتعلق نظراتي الحائرة بوجهه المقزز ، ابتسامه عريضة تعلو وجهه زادت من نفوري ، ينتفض جسدي بلوعه ، تنهمر دموعي ولكنها أضلت طريقها فأخذت تنسكب بأعماقي بحرارة فتذيب كل ما تقابله لتترك جوفي خالياً ، رأسي ينبض ألماً ، عقلي يصاب بهستيرية من الجنون ، ضحكات إيهاب اللاذعة يتكرر صداها بأذني فيزداد ألم رأسي حد الاختناق ، صوت نادر الحاني يأتيني من بعيد مطمئناً ، أضع يدي على أذني ، فيعلو صوته ويزيد الألم أضعاف ، أصرخ به ليصمت ، فتنتشلني ضحكات إيهاب المدوية فيتردد صداها مفزعاً بداخلي ، لانتصب كجماد دون أيه تعابير ، أتأمل ملامحه المقرفة التي كانت يوماً أحب شيء إلي قلبي ، فتتجلي صورة والدي الملقى بالمشفى أمام ناظري ، يعم الصمت ويطبق على الغرفة إلا من أزيز الجهاز المتصل بجسد أبي يعلن خروج الروح منه ، تدور الغرفة من حولي ، يتحول وجه إيهاب المبتسم لحية عملاقه تثير اشمئزازي ، الأزيز يعلو ، أضع يدي على أذني بعصبية ، نادر يتطلع لي من وراء القضبان ، مازالت الغرفة تدور ، أبي مسجى على الفراش ، إيهاب تحول لحية عملاقه ، صوت الأزيز يعلو ، الألم يتفاقم ، مازالت

الغرفة تدور ، الحية تضحك بتشفي ، أبي يفاق الحياة أمام عيني ، الأرض تميد بي ، قواي تخور ، انتفض فجأة والتفت بلوعه إلى حيث جاء صوت أبي من خلف المكتب فأجد فراغاً ، تقع عيني على مسدس إيهاب ، فتنتفض نظارتي نحوه ، وتشعل ضحكاته نيران البغض داخلي ، فانقض عليه بضراوة وأتتابع جسد الحية وهى تسقط أمامي بعدما أصدر المسدس بيدي المرتعدة صوتاً مدوياً أصابني بالصمم ، وارتجف بدنى ورحلت عنه ما بقى من قواي فانسلّ المسدس من بين أصابعي الواهية ليستقر بجوار قدم إيهاب الملقى فوق بركة واسعه من الدماء أخذت في الاتساع ، انفتح الباب بحدة ليندفع من ورائه عشرات من الأوجه المفزوعة ، باستثناء وجه واحد نظر لي ضاحكاً فضحك قلبي وعادت لي الحياة وانبثق داخلي أمان كان مصدره عينيه العميقتين وما تحملانه من دفء ليل زنجي ، فاندفعت نحوه ألقي بنفسي بين ذراعيه ، وأضيع في عالم صدره المؤنس استشعر الأمان بلمساته ، تنفرج شفتاي ببطيء ليخرج صوتي مجهداً بعد صراع مع حبالي الصوتية : فلتبتسم الآن يا أبي



وتضحك ملئ شدقيك فقد انتقمت لكلينا ، قتلت من سلب منك الحياة وسلب منى قلبي

****



